

ميسره الدندراوي

# حارس

الليلة الأخيرة



مشهد افتتاحي

ليل - داخلي

مقر إقامة وزير الصحة - مدينة السادس من أكتوبر

مساء الخامس من يونيو عام ألفين وثلاثين

وصلت السيارة المرسيديمس السوداء ذات الزجاج المظلل أمام  
الفيلا البسيطة ذات الحديقة في أحد المجمعات السكنية الراقية  
في مدينة السادس من أكتوبر لتقدمها سيارة دفع رباعي يوحى  
مظهرها بالخطورة.

وما أن توقفت السيارتان، حتى هبط من سيارة الدفع الرباعي  
زوج من العمالة الشبهيين بأعمدة المعابد القديمة، ووقفوا ينظران  
بمعة ويسرة بجوار باب المرسيديمس، ثم فتح أحدهما الباب ليهبط  
من المرسيديمس رجل نحيف إلى درجة غريبة، تنائر الشعر الأبيض  
على جانبي رأسه، يرتدي عوينات طبية أليقة، ويحمل في يده  
حقية من طراز ماسونلايت، ثم مشى بين زوج الحراس العمالة،  
ليبدو المشهد جديراً بفيلم كوميدى.

وما أن اقترب الجمع من باب الفيلا، حتى تحرك زوج العمالة  
واتخذوا موقعهم خلف الرجل النحيف، فضغط ذلك الأخير على  
جرس الباب الإلكتروني، ليحييه صوت عبر جهاز الاتصال الداخلى.

- الاسم والغرض من الزيارة.

فتنضح الرجل النحيف وكأنه موشك على أداء فقرة موسيقية.

- قول لمعالي الوزير إن شكري الحائس عايذه في موضوع مهم.

صمت الصوت القادم من جهاز الاتصال للحظات بدت كالدهر

للرجل النحيف، ثم جاءه الصوت من جديد:

- اضغط على الزر رقم أربعة وبعدين رقم ستة.

ضغط الزرين كما طلب منه الصوت، فسمع صوت رنين خافت، ثم

فتح الباب واشتعل ضوء خفيف فوق رأسه، فخطا بقدميه إلى

داخل الفيلا.

وما أن خطا بضع خطوات داخل المكان، حتى راح يتلفت يمنة

ويسرة، ثم رفع رأسه إلى أعلى، فرأى كاميرا صغيرة تستقر في ركن

صالة الاستقبال الصغيرة في المدخل.

وبعد دقيقة تقريبا، فتح باب في ركن الصالة الصغيرة، وخرج منه

رجل يرتدي حلة بيضاء كاملة، بربطة عنق بيضاء، وقميص أبيض

ناصع البياض، حتى أنه بدا ككوب حليب يمشي على قدمين.

- معالي الوزير في انتظارك في مكتبه.

هز الرجل النحيف رأسه، ثم تبعه عبر معبر صغير إلى غرفة مكتب

السيد وزير الصحة. الرجل الذي أصبح يعيش في تأمين شبه

عسكري، وكله أحد أعضاء برامج حماية الشهود الأمريكية الشهيرة،

أو عميل سابق في المخابرات الروسية. وما أن دخل الرجل النحيف

غرفة المكتب، حتى قابله وزير الصحة، الدكتور عبد الباقي رضوان،  
وعلامات التوتر والضيّق تعلو وجهه:

- أهلاً يا شكري .. تعالى اتفضل.

تقدم شكري ناحية المكتب، واتخذ مكانه على المقعد مقابلًا لمعالي  
الوزير رهيّن المحبس شديد التأمين:

- خير يا شكري؟

- خير يا معالي الوزير .. أنا معاليا بس شوية أوراق لازم حضرتك  
تطلع عليها من الوزارة .. ومعاليا تقرير حملة التطعيم عشان  
حضرتك تتطلع على ..

قاطعه الدكتور عبد الباقي في ملل:

- تالي يا شكري .. هو أنا مش قولت الحاجات دي يشوفها وكيل  
الوزارة ويأمر عليها. لحد ما للأزمة دي تعدي على خير ويمسكوا  
ابن الكلب اللي داير بيدبح في الناس ده.

دفع شكري عويناته الطبية من فوق قصبة أنفه وقال في توتر:

- أنا سامع معاليك إنهم قبضوا على ضابط شرطة مشتبهيّ فيه ..  
ومتحفظين عليه في سجن شديد الحراسة بقالهم كام يوم.

أخرج الوزير ميجازًا فاخرًا من علبة خشبية أمامه، وقص طرفه  
وهو يقول:

- مفيش حاجة مضمونة اليومين دول يا شكري .. ممكن يكون

كبحش فدا بيضحوا بيه عشان يتقوا شر غضبة سيادة الرئيس عليهم.  
ثم وضع السيجار الضخم بين أسنانه، ثم أهنطه بقداحة كهربائية  
كبيرة، وراح ينفت دخله وهو يراقبه، بينما شكري يراقب الدخان  
المتصاعد من فمه معالي الوزير وهو صامت بلا حراك:

- بقولك ايه يا شكري .. فاكرك الورق اللي كنت شيلته عندك من  
شهرين كده؟

رفع شكري عينيه إلى السقف كأنه يفكر أو يحاول التذكر ثم قال:  
- آه معاليك فاكرك طبعا .. الورق اللي كان في الظرف البني الكبير  
- بني ايه يا شكري .. الورق اللي كان في شنطة سامسونايت  
قديمة .. اللي مقفولة برقم سري.

نظر شكري إلى وجه الوزير ساهقا، وبدأت أمارات الغباء على  
وجهه:

- أنت بلينك كبرت وخرفت يا شكري وهتوبينا في داهية .. الحمد  
لله إني محافظ على نسخ إلكترونية منه على اللابتوب .. فلتحيا  
التكنولوجيا.

ثم نفت دخان سيجاره من جديد، وشكري يهم بقول شيء ما، إلا  
أن الهاتف الداخلي رن رنينًا خافتًا بجوار معالي الوزير فوضع  
السيجار أمامه وأجاب:

- أيوة .. منين المكالمة .. الوزارة .. طيب حوليها.



ثم نظر إلى شكري وقال ملاحظًا:

- طالبيني من الوزارة ليه وأنت هنا .. ما كالأوا بعنوا كل حاجة معاك.

ابتسم شكري ابتسامة بلهاء، بينما يضع الوزير السماعه على أذنه من جديد:

- آلو .. مساء الخير يا معالي الوزير .. أزي حضرتك؟

وكلما صعقه أحدهم بكابل كهربائي عالي الجهد، اتسعت عينا الوزير وجحظت حتى كادت تغادر محجرها، وهو يستمع إلى الصوت القادم من الهاتف:

- أيوة يا معالي الوزير .. حضرتك سامعني؟

راح الدكتور عبد الباقي يهز رأسه في دهشة، ثم نظر إلى السماعه في هلع، ورفع عينيه نحو شكري قائلا:

- أزاى .. أزاى ال ..؟

لكنه قطع عبارته فجأة أمام ما رآه.

فأمام عينيه الجاحظتين، كان شكري يبتسم ابتسامة خبيثة كريهة لا تليق بشخصيته المهلهلة التابعة، ثم نهض وهو يخلع عويناته الطبية، ومال بجسده مستندًا على المكتب وهو يصوب نظرة باردة جمعت الدم في عروق عبد الباقي رضوان:

- ألو .. يا معالي الوزير .. أنا شكري يا فندم.

راح الصوت يتردد عبر سماعة الهاتف، بينما دار شكري، أو من كان شكري، دار حول المكتب الخشبي الأبيض اللامع، ثم أخرج من جيبه سكينًا ملتويًا صغيرًا.

بينما راح معالي الوزير يصرخ في عنف طالبًا النجدة:

- ما تتعش نفسك يا عبد الباقي .. الحوائط بتاعتك عليها عازل صوت من نوع ممتاز .. يعني لو انفجرت قنبلة هنا محدش هيسمعا برة..

- أنت عايز مني ايه؟ .. أنا ما عملتش حاجة .. أنا...

رفع الرجل النحيل أصبعه أمام فمه طالبًا من عبد الباقي الصمت، ثم رفع السكين أمام وجهه وهو يقول:

- فين اللابتوب اللي عليه البحث؟

- لابتوب ايه .. وبحث ايه .. أنا ما أعرفش حاجة.

- بحث المتحولين الثلاثين يا عبد الباقي ..

كان عبد الباقي يرتعش كالغزال الموشك على الذبح بأنياب أسد جائع، بينما ساقاه ترتعشان كهودين من الجرجين وهو يشير بأصبع مرتجف إلى طاولة صغيرة في ركن الحجرة، يستقر فوقها كمبيوتر محمول أبيض اللون.

- أنا قولت لمهدي بلاش .. قولته بلاش .. بلاش نفتح في أبواب

هتجيب وراها الخراب.

تلك الراحلة التي كانت تصدر من الرجل النحيل، رالحة هي مزيج  
من الروث والخمر وبقايا رماد نار كانت مشتعلة في قطعة من  
البلاستيك، وعيني الرجل تشعان نورًا أحمر كأنه بعث لتوه من مقر  
ثم فجأة، وأمام عيني عبد الباقي الباكيين من فرط الرعب، حدث  
ما لا يجد له عبد الباقي أي تفسير.

فأمام عيني، نعا شعر ثلث أسود فوق رأس الرجل النحيل،  
واستحالت بشرته إلى لون قمحي مشرب بالحمرة كأنه جاء من  
طريق صحراوي مشمس، وتبدلت كل ملابسه إلى اللون الأسود،  
بينما اختفت التجاعيد من على وجهه، وارتفعت أذناه طويلتان  
كأنني الشطب إلى جوار شعره الثلث الأسود.

- أنت ايه .. أنت مين .. أنت !!

- أنا الحقيقة يا عبد الباقي .. أنا اللي جاي عشان أخلصك من  
عذاب الحبس زي فأر التجارب في قفص زجاج.

ثم رفع السكين والنور الأحمر يشع من عينيهِ نحو عبد الباقي،  
الذي راح يصرخ مرتعًا من هول ما يراه، وصاحب الرداء الأسود  
يتمتم بكلمات غريبة لم يسمعها عبد الباقي في حياته.

- سيدي .. هذا خادمك المخلص ست .. يأتيك بعبد ربه عبد الباقي  
بقلبه المليء بالخطايا .. ويقبل كلمة ماعت من خلف الميزان ..  
فأقبله عندك .. وأمنحه صك العبور .. أو أمنحه وليعة لعموموت ..



ثم رفع السكين الرفيع ذا النصل المنحني، حتى التمع نصله في  
ضوء الحجرة الخافت.

ثم غرستها في قلب الدكتور عبد الباقي رضوان.  
غرستها بلا رحمة.

\*\*\*\*\*

الحلقة السادسة

الليلة الأخيرة

المشهد الأول

ليل - خارجي

شارع هايي - بورتسموث - إنجلترا

مساء العاشر من يناير عام ألف وثمانمائة وخمسة وثمانون

كنت أمشي بخطوات بطيئة وثقة فوق الرصيف القصير على جانب  
الشارع، بينما يمضي آرثر إلى جوارى.

كنا في طريقنا إلى منزل من طابقين يقع في نهاية شارع هايي،  
بجوار حانة جراي هاوند، والتي شهدت منذ مائتي عام وأكثر  
مقتل دوق باكنجهام الأول.

واليوم، بالقرب من المكان الذي رصف الشارع أمامه بحجر  
الإسكافي، ارتكبت جريمة جديدة.

كان آرثر طبيبا أمكتلنديا شابا، جاء إلى منطقة جنوب الميناء في بورتسموث منذ ثلاثة أعوام، وفي جيبه عشرة جنيهات كاملة، والآن أصبح واحدا من أشهر الأطباء الشبان في بورتسموث، بل في مقاطعة هامبشاير بأكملها.

شاب طموح، في السادسة والعشرين من عمره، محدود الذكاء، لكنه مخلص، مخلص كما يجب أن يكون الطبيب مثله مخلصا.

كنت أرثدي معطفا بنيا ثقيلا، ترتفع ياقته لتغطي على رقبتى التي امتلأت بالجروح الجافة، وأسفله ثياب بسيطة غير مهندمة أو متناسقة، بينما كان آرثر يضع معطفا أسود فوق سترة كاملة بصديري من السلطان، ومسللة الساعة تتدلى من صدره حتى جيب الساعة الصغير بينما يصفف شعره الأسود اللامع بدهن الشعر الهندي. وهناك، أمام ذلك المنزل الصغير البسيط، كانت الجثة مستلقية فوق الشارع المرصوف أمام باب المنزل الخشبي، ذي الطلاء المتقشر بفعل الرطوبة وهواء البحر.

كنت أكاد أختنق من تلك الأجواء الرطبة، ومن رائحة الأسماك التي تفوح من مصاطب البيع في سوق الأسماك على بعد أمتان ومن الضباب الذي ينتشر حولنا أغلب أشهر السنة.

كنت أفتقد شمس كيمنت المشرقة، ورائحة طين النهر الطيب، وأعواد الذرة التي تتمايل في النسيم القادم من الشمال. لكن الشمس غربت، وشرقت بدلًا منها شمس باهتة فوق رؤوس خلعة،

تأكل ما يلقي به السيد الغازي لأنه هو القوي، وطين النهر الطيب أصبح يسرق، وأعواد الذرة احترقت كما احترق كل شيء.  
- هذه هي الجنة يا أنوب.

هذا هو الاسم الذي اتخذته عندما استيقظت يومًا منتسعين عافًا فوق ظهر سفينة خشبية قائمة من مدينة الإسكندس لأجد نفسي على سواحل هذه المدينة.

وجدت نفسي هنا، بعد أن عدت من بئر بتاح، وخرجت من كيمت الطاهرة مع دخول زبانية ذلك الرجل القصير ذي الشعر المتهدل، نباش قبور الآباء والملوك ومارق أثرهم وأعمدتهم. اقتربت من الجنة الملقاة على ظهرها أمام باب المنزل، والمغطاة ببطانية من الصوف الخشن، فنزلت على ركبتي على الأرض، ورحت لتحسس الدماء بجوار الجنة.

عندما وجدت نفسي هنا، بعد أن أفقت من ميات الماء المبارك، تخفيت وسط الناس، وعملت حمالًا في الميناء الكبير في جنوب تلك البلدة، ثم رحت أجوب هوارعها ومدنها طوال تسعين عامًا، حتى استقرت هنا.

في تلك المدينة التي تقع خلف الميناء الكبير

مددت يدي ورفعت الغطاء جزئيًا، بينما جثا أرثر على ركبتيه بجواري، غير عابٍ بالوحل الذي لطخ بطلاله في موضع ركبتيه، ونظر معي إلى وجه الجنة هاخص البصر

- أبعد هؤلاء العامة أيها الطبيب الطيب .. فرؤية هذا الجسد المشوه ليست بالمنظر المحبب لهم.

نهض آرثر من جوارى، وتحدث بكلمتين مع شرطي مسكين هزيل يقف بجوار المنزل، فراح الأخير يحاول محاولات بالسة مع زميل له، كي يبعد العامة عن مسرح الأحداث.

بينما عاد آرثر إلى جوارى وهو يهمس بأسنان مصطكة من ذلك البرد القارص.

- هل انتزع الأحشاء والقلب من جديد؟

- في الغالب .. لكن آثار الدماء توحى بأنه دم طازج .. أصيل منذ ساعة على أكثر تقدير .. وهو ما لا أفهمه.

- لماذا لا تفهمه؟

نظرت نحوه بجانب وجهي وقلت هامساً:

- لأن المنزل ملاصق لحالة جراي هاوند يا دكتور بويل .. وهو

مكان مزدحم طوال اليوم .. لذا فمن المستحيل أن يكون من فعل ذلك قد قتل الجنة وانتزع قلبها وأحشاءها في قارعة الطريق.

ثم رحت أجوب بعيني في المباني المحيطة بالساحة أمام الحالة:

- كما أنه لا يمكن أن يكون فعل ذلك في مكان بعيد عن هنا .. ثم

نقل الجنة إلى المكان في عربة يجرها أحصنة .. فلا أثر لأي حدوات أو روث هنا أو هناك ..

ثم رحت أنشمم الجو حولنا، ولزلت على ركبتني من جديد، وأنا  
أنشمم الأرض بجوار الجنة، ثم أهرت بيدي لأرثر الذي راح يدون  
كلماتي وكلني أمله كتابًا مقدسًا، فتبعني مسرعًا.

- منزل من هذا؟

أهرت إلى المنزل ذي الطابق الواحد، متكسر النوافذ، والذي خلعت  
الواح من بابها، وتقرش طلائه.

- اعتقد أنه منزل مهجور .. ربما كان لأحد تجار الشحن الذي  
هجروا المدينة في زمن الطاعون.

ثم اقترب مني وهو يحدق في وجهي متسللاً، فقلت:

- أشم رائحة سيئة تأتي من هذا المنزل.

ثم أهرت له بعصاي على الأرض وأنا أتبع:

- ثم إن خطأ من الدم يأتي من هناك .. يسيل ببطء بين شقوق  
الحجر حتى الجنة الملقاة هناك.

راح ينظر إلى الأرض، ثم جثا على ركبتيه من جديد وقال:

- أنا لا أرى بها يا أنوب ..

- لأنك لا تملك عيونًا مثل عيوني يا آرثر .. ولا أنا مثل أنبي .. ولا  
أنا مثل أنبي.

ثم رفعته من أسفل ذراعه ونظرت إليه تلك النظرة التي يعرفها

جيدًا، فسرت الكلمات إلى داخل عقله.

- أظن أننا تحدثنا عن هذا سابقًا يا آرثر.

- أعذر جهلي أيها القادم من الشرق .. أنت تعرف أنني ما زلت أحاول استيعاب ذلك.

- متقدر يا آرثر .. أنت تملك عقلًا مستنيرًا .. وقلبًا صادقًا ..  
ومستعي كل شيء.

ثم نظرت له نظرة تغلغلت وسط أعماق أعماق مخه.

- ويومًا ما سيكتب كل شيء .. عني وعن الشيطان القادم من الغرب .. وعن أجدادي وأجداد أجدادي .. أنت من سيكتب كل شيء يا آرثر.

ثم تركت ذراعه، وابتسمت له ونحن نتقدم ناحية ذلك البيت المهجور. كنت أفتش عن الأثر تلك العلامة التي عندما أراها سوف أعرف أنه هنا.

إنه يتتبعني منذ أن فارقت كيمنت في ذلك اليوم.

يبحث عني وعن أثري، يريد أن ينهي الأمر بلا رجعة، فهو يعرف أنني الأخير وأنه إذا تخلص مني ومن أثري، فسيبقى هو فقط، ويومًا ما سيخرج من جسدي الميت ما يظن أنني تعلمته من تحوتي، ويتحول بسببه إلى رمز أو نبي أو ربما إله يأمر وينهي.

يظن أن تحوتي أملائي كتابه المزعوم.



أكبر كذبة في التاريخ، كتاب تحوتي المقدم!

كنت أبتسم ساخراً من ذلك الخاطر الساخن ومن غباء البشر  
جميعاً، متحولين وغير متحولين، عندما قطع آرثر ميلان أفكارى:

- أنت تبحث عن الأثر.. أليس كذلك؟

- أحاول .. لكنني لا أجده .. ولا أجد ما قد يدلني إليه.

ثم نظرت له بطرف عيني وقلت:

- كيف كان موق السمك اليوم .. وشاي بعد الظهيرة مع الأتسة  
بانكر في العيادة؟

- ان تكف عن لعب هذه اللعبة معي يا أنوب؟

ابتسمت ساخراً، ورحت أزيح بعض الألواح المتساقطة في مدخل  
المنزل، ثم دفعت الباب في هدوء، ليصدر صريراً صاخباً:

- كيف عرفت أنني قابلت الأتسة بانكر اليوم في العيادة؟

- الأمر بسيط يا آرثر

ثم خطوت بقدمي في هدوء على الأرضية الخشبية وهو يتبعني،  
ونحن نهتدي بذلك الضوء القادم من مصباح الشارع.

- على أسنانك يظهر ذلك الأثر الداكن لشاي ثقيل غير مصفى ..

وبين الأسنان وعلى طرف فمك بقايا البسكويت الذي تفوح منها  
رائحة جوز الهند .. ومعنى أنك أكلت بسكويت جوز الهند .. فهذا

يعني أنك كنت في عيانتك بعد الظهيرة عندما جاءك الخبر .. لأن  
المرض وودهاوس لا يشتري إلا بسكويت جوز الهند .. والشاي  
الثقيل القادم من مستعمرات سيلان ..

- هذا لا يجيب على مؤالي يا أنوب.

كنا نخطو الآن نحو إحدى الغرف، والرؤيا تتعصر أكثر وأكثر  
- تقصد عن مقابلة الأتيسة بالكر .. هناك بقايا وردة مجففة على  
صديريتك بجوار جيب الساعة .. ورائحة اللافندر المعيزة لتلك  
البودرة التي تدهن بها السيدات رقبتها .. أما كيف عرفت أنها بالكر  
نظرت له وعيناي تتوهجان في الظلام وقلت:

- فهذا مجرد تخمين ليس إلا .. وقد أصبت معك كالعادة.

راح يضحك في طفولية وجذل، وهو يحاول أن يخطب قلم الكوبيا  
فوق دفتره، لكنه لم يكن يقدر على رؤية كف يده حتى.

تقدمت من أحد المصباح المعلقة، ورحت أتشممه ثم قلت:

- كيروسين طازج .. أحدهم كان هنا.

أخرج آرثر ثقبه وحاول إشعال المصباح في محاولات عديدة،  
حتى التقط المصباح الشرارة فأشعل الفتيل الصغير وعلى ضوء  
المصباح الخافت، رأينا ذلك النقش على الحائط الحجري المصفر  
نقش لتطبدو كذوب، أو ذئب يبدو كتطبدو، أو كلب يبدو كالذئب  
مقا.

- اللعين .. كنت أعلم ذلك.

همست بها من بين أسناني، ثم اقترب من النقش الصغير وأنا  
أتحسسه. وفجأة، تردد ذلك الصوت في أنفي قللاً:

- لو كنت مكلارك لما اقتربت أكثر يا ابني أخي.

توترت عضلاتي، بينما تراجع آرثر للخلف، وأخرج من جيب معطفه  
ذلك المسدس الصغير ذا الطلقتين، ووقف متحفظاً كالكلب  
البولييسي.

- قل للطبيب المسكين أن يخفض سلاحه .. فإنت تعرف أنني لا  
أحب الأسلحة.

عدت للخلف قليلاً وأنا أنظر حولي، وأندأي تحاول التقاط مصدر  
الصوت:

- أنوب .. من أين يأتي ذلك الصوت؟

رفعت أصبعي على شفتي وأنا أطلب منه الصمت، ثم نظرت إلى  
النقش الخافت في ضوء المصباح.

- ما ذنب هؤلاء المساكين فيما تفعله يا ست؟

- ذنبهم أنك هنا .. وأنت لا تريد الاستسلام يا ابن أخي .. ولا تريد  
منحي ما أريده.

رفعت عصاي في الهواء وحاولت أن اتحسس بها الحائط عند

## النقش الباهت وأنا أقول:

- وماذا تريد مما أعلمه يا ست .. ألا يكفيك ما تعلمه؟

- أريد من الخلود الذي علمه لك تحوتي أيها الملكي المقدس..

- لم يعلمني شيئًا يا عماه .. أخبرتك من قبل أنه لا يوجد كتاب ولا يوجد سحر ولا يوجد شيء من هذا.

ثم نظرت نحو آرثر وطلبت منه أن يقترب وقلت:

- هذا اللعين ناثن نشر الأسطورة وأنت صدقته يا عماه.

ارتفعت ضحكاته عاليًا، ارتفعت حتى هزت الحوائط، والأثاث، والضوء في المصباح الذي يحمله آرثر.

- أنا من جعلت ناثن الغبي ينشر هذه الأسطورة .. حتى يدور الأغبياء في العالم بحثًا عن الأثر أو ما يشبهه .. وعندما يجد أحدهم شيئًا غريبًا .. سيقودني ذلك إليك.

ثم صمت للحظات توقف فيها الهواء في سماء الحجرة، وقال بصوته المبحوح:

- ومنذ شهور .. جاءني الخبر عن أنوب الذي يمشي في الطرقات .. يقرأ الجثث وأجساد الموتى .. ويعرف الكثير من الألعاب والحيل .. ويقدر على شم الهواء والتنبؤ بالرياح والأمطار .. فقلت لنفسي أنني اشتقت كثيرًا لابن أخي العزيز .. ووجب أن أزوره قليلًا.

اقترب مني آرثر فأشرت له ناحية أحد الممرات الصغيرة، وطلب

منه أن يتحرك نحوه، فقلت رافعا صوتي:

- لذا جئت إلى هنا ورحلت تقتل وتسفك الدماء وتنثر الرموز  
والأحاجي فوقها .. حتى تقودني إليك.. وكل هذا من أجل ماذا يا  
عماه؟

- من أجل السر الأعظم يا أبو .. من أجل السر الأعظم.  
- يا ليتك فنييت كما فني الآخرون يوم أن غضب تحوتي.  
ضحك ضحكته الخبيثة من جديد وقال:

- ليس تحوتي فقط من يملك الحيل يا ابن أخي.  
ثم سمعت صوته يأتي من خلفي مباشرة وهو يقول:  
- والآن يا ابن أخي .. فلنكف بهذا القدر من لهو الأطفال.  
التفت نحوه في حدة، لأجده يقف أمامي تماقلا، وعيناه الرماديتان  
الباردتان تنظران لي في كراهية:

- هخت كثيرا يا ابن أوزير

- تسعون عاما ليست بالقليلة يا ست.

- وجهك وجه رجل في الأربعين .. لكن روحك هاخت يا أبو.

- أن تشيخ روحي خير من أن يشيخ عقلي يا عماه.

سمعت صوت خطوات آرثر المتريدة تأتي من الخلف، فقلت رافعا

صوتي:

- انتظرنى بالخارج يا دكتور دويل .. فلدي كلمة مع صديقي العزيز.

راح آرثر ينظر إلى وجهي ووجه عمي مت، الذي يبدو أصغر مني بعشرين عامًا على الأقل، ثم تراجع بظهره والمصباح في يده خارجًا من البيت:

- والآن .. هلا أنهينا هذا الأمر كالرجال يا عماء.

- أنت مسكين يا أبو .. هل تظن أنني سأنتارك معك أو أبارزك بالسيف والعصا حتى وإن كنت أصغر منك الآن جسديًا بثلاثين عامًا.

ثم قرب وجهه من وجهي وقال بصوت كالضحك:

- هناك الكثير من الألعاب التي لم نلعبها بعد يا ابن أوزير .. وأنت لن تتخلص مني بسهولة .. منتظر حولك في كل الوجوه فتجدي فيها.. لن تنام يومًا وأنت مطمئن لأي وجه يحيط بك .. فأت تعرف مقدرتي على ارتداء الوجوه يا صغيري.

ثم ابتسم ابتسامة كريهة ماجة صارخة عابثة:

- ثم إن الطريق ما زال طويلًا يا أبو .. وأنت ذاهب اللي كيمت قريبًا .. حتى تقترب من البئر من جديد.

- بعد عشرين عامًا يا عماء .. ما زال أمامي الكثير.

- إذن فلا تحرمني لذة البعث بك كما تعبت الهرة بفريستها.



هممت أن اهجم عليه بجسدي كي ..

ابن السما

فجأة رأيت نفسي واقفاً في تلك الصحاري ذات الرمال البيضاء  
والسما الزرقاء، أم كانت سما برتقالية ورمال خضراء.

وهناك رأيت يقف أمامي، مهيباً طويلاً حتى كاد يلامس السما.

- والآن ستنام يا أبو .. ستنام قليلاً .. وعندما تستيقظ ستكون في  
ورطة .. لكنك ستفلت منها .. كي تعود لي من جديد.

ثم ابتسم ابتسامته الكريهة وقال:

- فكما قلت لك .. العبث بك متعة لا تضاهيها متعة يا ابن أخي.

ثم نفخ بفمه نفخة واحدة، فثارت رمال الصحراء الزرقاء، أو  
الخضراء، أو الحمراء، أو أيًا كان لونها. رحت أقاوم وأنا أسعل،  
أسعل، وأحاول أن أقاوم ذلك الشعور بنقل في رأسي وفي أكتافي  
وفي عروقي. وصوت آرثر العزيز يأتيني من خارج المكان والزمان  
ينادي علي في خوف:

- أنوب .. أنوب ماذا بك .. يا إلهي الرحيم .. أنت تموت يا أنوب ..  
أنوب!

لكن جسدي ينقل .. ينقل .. ينقل.

نسيت أن أخبركم عن آرثر ربما لو بدأنا بالتعارف، فسيكون الأمر  
مفيداً لكم، حتى أستيقظ من مباتي الذي وضعني فيه عمي

الملعون، كما أخبرتكم، فإن آرثر أو دكتور دويل كما يسميه مرضاه،  
طبيب ماهر، محدود الذكاء لكنه مخلص، وسيكون ذا شأن يومًا ما.

ما اسمه الكامل؟

اسمه آرثر كونان دويل.

\* \* \* \* \*

### المشهد الثاني

نهار - داخلي

مقر النيابة العامة - القاهرة الجديدة

مساء الخامس من يونيو عام ألفين وثلاثين

جلس إبراهيم أبو النور على مقعده الوثير خلف مكتبه الخشبي  
الضخم، وهو يضع طرف فتاحة الخطبات المخبأة في غلافها  
الجلدي على جانب وجهه الممتلئ. بينما أمامه يجلس سيف، سيف  
الدين إبراهيم عبد الفتاح، الذي كان يومًا ما مقدمًا في المباحث  
العامة، ثم إنه لا بد من فترة راحة وامتشاف. امتراحة محارب كما  
سمّاها.

- حمد الله على السلامة يا سيف باها.. كفارة يا أخي.

ابتسم سيف ابتسامة مجاملة صفراء:

- شكراً يا سيادة المستشار.. أنا بقول أخش في الموضوع على

طول.

- طول عمرك تحب تخش في الموضوع .. وأنا كلي أذان صاغية.

رشف سيف من فنجان القهوة، ووضع الفنجان فوق الطبق بصوت مرتفع رنان، ثم سعل على سبيل التسلية، وقال:

- أنا جاي عشان أتكلم معاك عن محمد حارم.

نظر له إبراهيم نظرة متفحصة بينما تابع:

- أنا معاليا دليل براءة محمد حارم يا سيادة المستشار .. الدليل اللي هيخليك تفرج عنه بدون ضعافات.

راح إبراهيم يدق بفتاحة الخطابات فوق سطح مكتبه، ثم ألقى بفتاحة الخطابات بإهمال فوق الأوراق وقال:

- بص يا سيف باها أنا عارف العلاقة القديمة اللي بينك وبين محمد حارم وإله تقريبا اتربى في بيتكم وأنكم زي الإخوات وأكثر عشان كده لو كنت جاي تناقشني في قرار حبسه أو تحاول تدور له على حجة غياب مضروبة عشان تطلعها بيها .. فصدقني تبقى بتضيع وقتك ووقتي.

ابتسم سيف ابتسامة عريضة لا تخلو من سخرية، ثم مد يده إلى جيب قميصه ذي الأكمام القصيرة، وأخرج مظروف صغيرا ناوله إلى إبراهيم أبو النور تناول إبراهيم المظروف منه، ومد يده ليخرج بطاقة ذاكرة صغيرة راح يقلبها بين أصابعه الممتلئة، بينما كتب

النيلة العجوز، ينظر إلى سيف نظرات خاوية، ويده ممسكة بالقلم  
بلا كتابة.

حالت الطفلة من سيف إلى الرجل، ليجده يحدق فيه بنبات، ثم  
يبتسم لسيف ابتسامة حانية لم يفهم معناها كثيرًا، فحول وجهه  
إلى إبراهيم وهو ينفذ فكرة جاءت على خاطره.

هذا الوجه مألوف له بشكل ما، ربما رآه في مكان ما، أو هو ذكرى  
بعيدة حدثت له في وقت كان يتحدث فيه إلى نفسه ظلًا أنه  
يتحدث إلى صديق وزميل، تبين أنه....

- ايه ده يا سيف باها

- دايما بتبهرنى بملاحظاتك يا معالي المستشار

- من بعض ما عندكم ..

ثم وضع بطاقة الذاكرة على ورقة بيضاء خالية وأشار لها متابعًا:

- وعليه ايه بقى الميموري كارد ده.. وايه علاقته بمحمد حارس؟

- ده ببساطة كده .. دليل براءة محمد حارس.

- دليل برائته ازاي بقى؟

عقد سيف كفيه فوق كرهه البارز ومدد ساقيه أمامه وهو يقول:

- ده تفرغ تسجيلات كاميرات المراقبة في مصحة الشفاء للعلاج

النفسي .. من يوم ٢١ ديسمبر ألفين تسعة وعشرين لحد يوم ١

## مارس ألفين وثلاثين

- وطبقا هتقولي إن محمد حارس ظاهر في التسجيلات دي كلها

- لا هو مش ظاهر وبس

أقترب سيف بوجهه الممتلئ وفي عينيه ذلك البريق العابت الذي اشتاق له:

- محمد كان بيزورني في العصحة بشكل يومي في الفترة دي .. زي مثلا يوم ٣١ ديسمبر .. لما جه شهر معانا في العصحة بإذن الطبيب المعالج .. دكتور عادل عجواني .. واحتفلنا سوا بالسنة الجديدة .. ومن كتر تعب وإرهاقه نام على الدكة الخشب جنبتي .. وما صحيش إلا الساعة ٤ صباحا .. يعني بعد ساعتين من ارتكاب أول جريمة في الأربعة.

العهدة حاجبا إبراهيم أبو النور وراح ينظر إلى سيف نظرة متشككة عابسة، فتابع سيف:

- ولا مثلا يوم الجريمة التالية .. كان مهرب في الباطو بتاعه رغيفين حواوشي .. حاكم هو عارف أنا بحب الحواوشي ازاي .. ولما دكتور عادل كشف الموضوع .. قعد ياكل معانا .. ولا بقى يوم الجريمة الرابعة بتاعة السير مهدي .. لما كان جاي يحتفل معانا بعيد ميلادي .. لا وجابلي تورتة حلوة أوي .. والممرضات كلهم طفوا الشمع معانا وغنوا هابي بيرث داي.

- خلاص مفهوم .. مفهوم.

أشار سيف نحو بطاقة الذاكرة وقال ضاغظا على الكلمات وكأنه  
يضغط على جرح متقيح:

- كل ده عند حضرتك هنا .. والتسجيلات الأصلية موجودة في  
السيرفر بتاع المصلحة .. ويمكن بإذن نيابة .. لا إذن نيابة ايه .. ده  
أنت ممكن حضرتك شخصيا تستدعي فريق الأمن بتاع المصلحة  
وتأخذ منهم التسجيلات ..

غمغم إبراهيم أبو النور بكلمات لم يفهمها هو شخصيا، ثم التفت إلى  
الكايب الذي كان ما زال يركز نظراته نحو سيف، فصاح إبراهيم أبو  
النور:

- اصحى معليا واكتب عندك .. في حضورنا نحن إبراهيم أبو النور  
رئيس نيابة القاهرة الجديدة .. سلطنا السيد سيف الدين إبراهيم  
عبد الفتاح بطاقة ذاكرة سوداء .. بحجم 1 تيرا بايت .. تحتوي  
حسب إفادته على مقاطع فيديو من تفرغ كاميرات.

- معلى يا إبراهيم بك أنا أسف للمقاطعة .. أنا بس معليا حاجة  
كمان لازم حضرتك تشوفها برضه.

ثم مد سيف يده إلى جيب قميصه من جديد، فأخرج صورة  
صغيرة ناولها إلى إبراهيم وقال:

- دي صورة السيد شكري الحليس .. مدير مكتب وزير الصحة  
الدكتور عبد الباقي رضوان .. واللي لقطته كاميرات المراقبة في



مدخل الكومباوند اللي عايش فيه وزير الصحة .. واحد حبيبي  
امبارح حكالي الموضوع ده. بس لبهني لنقطة صغيرة كده مش  
منطقية

- نقطة ايه يا سيف باشا؟

نفس البريق يشع من عيني سيف، بينما ابتسامة كلاب النياحة  
العجوز تتسع وتتسع، بينما تناول إبراهيم أبو النور كوبًا مليًا بالماء  
وراح يرشف منه:

- شكري الحاميس فضل مهران في مكتبه امبارح .. وما نزلش راح  
لمعالي الوزير في بيته .. فازاي بقى لقطته الكاميرات هنا وهنا ..  
وخصوصًا إن الكاميرات بتقول إنه آخر واحد دخل على معالي  
الوزير قبل ما يلاقوه مدبوح وقلبه منزوع من صدره.

توقف إبراهيم أبو النور فجأة عن شرب الماء، حتى إنه سعل مرات  
متتالية، ومسح منديلًا ورقيًا وضعه أمام فمه.

لذكر أنك حملت رواية حارس الليلة الأخيرة حصريا ومجلا من  
على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات  
الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على  
جوجل واكتب في خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

- مين اللي لقوه مقتول وامتى؟

- معالي الوزير عبد الباقي رضوان .. لقوه مقتول بنفس الطريقة  
الوحشية .. ولقوا جنبه ورقة مكتوب عليها بدمه .. ملعون أنت يا

من تبيض قبر ابن الرب .. نفس الباتن بتاعة السفاح يا معالي  
المستشار.

- وأنت عرفت المعلومات دي أزاي يا سيف باشا؟

البتسم سيف لبتسامته الساخرة الواثقة:

- أنا صحيح خرجت من الخدمة من أربعاشر سنة .. بس لسه لي

زمائل وحبايب في الوزارة .. وبرة الوزارة.. يعني مثلاً.. صاحب

شركة الأمن اللي ماسكة المصحة والكومباوند زميلنا عماد محمد

حمدي .. وهو اللي بعطي نسخة الفيديوهات دي على كارت

الميموري.. طب تصدق بالله .. معالي الوزير نفسه دفعني .. وكان

مبسوط أوي لما قولتله إني لقيت دليل براءة زميلنا .. العقيد محمد

حارص.

نظر إبراهيم أبو النور إلى سيف، وراح ينقل بصره بينه وبين

بطاقة الذاكرة:

- وطالما هو بريء .. ومعه دليل دامغ زي ده .. ما نطقش كلمة ليه

من ساعة ما قبضوا عليه .. لا في تحقيقات الشرطة ولا تحقيقات

النيابة.

- أنا هقولك يا إبراهيم بيه .. لأن ده أول سؤال وجيه تسأله

النهاردة؟

ثم نظر إلى كاتب النيابة العجوز وبادله تلك الابتسامة قللاً:

- لأن محمد حارم بيدور على الموت زي ما كلنا بيدور على الحياة .. محمد حارم يا معالي المستشار مريض سرطان دم في درجة متقدمة جدا.. ولولا إن إعدامه ممكن يضر ناس كثير .. ما كلاك سمحلي النهاردة آجي لحضرتك واتكلم.

- يقوم يرمي يقود نفسه بنفسه لحبل المشنقة؟

- ربنا نزل على الناس الأرزاق والأمنعة يا إبراهيم بك .. قام كل واحد ما عجبوش رزقه .. لكن كل واحد دماغه مريحاه.

ثم نهض سيف من على مقعده، كأنه جمل يهب واقفاً بعد نومة طويلة، ثم عدل من وضع قميصه، وقال في هدوء:

- استأذنيك أنا يا معالي المستشار وأتضمن إن إجراءات الإفراج عن حارم ما تطولش عشان أنا هستناه النيابة هنا لحد ما يطلع..

ثم رفع يده مبتسماً إلى الكاتب المبتسم في سعادة، والتفت ناحية الباب لكي يغادر المكتب. وعلى الباب، وبعد أن فتح الباب وهم بالخروج، وقف للحظة، وهمس لنفسه في خبث وعيناه تشعان بذلك البريق:

- كش ملك ..

ثم أغلق الباب

\*\*\*\*\*

## المشهد الثالث

نهار - داخلي

مكتب موقع الحقيقة الإخباري - مصر الجديدة

مساء الخامس من يونيو عام ألفين وثلاثين

- أدت لسه واقفة .. ادخلي اقعدى هنا وافتحي اللابتوب اللي معاك ده .. واكتبى اللي هقولك عليه.

- حاضر يا ريس.

التف ماهر الرفاعي بمقعده وهو ينظر إلى النافذة المقابلة له، وهو يدعى حالة الإبداع التي قلما جاءت في حياته، ثم قال موجهاً كلامه لسردون أن يلاحظ الابتسامة الساخرة على وجهها:

- اكتبى فى نص السطر ..

- نص السطر ايه يا ريس هي حصة إملاما

نظر لها بجانب وجهه هذراً، ثم قال:

- اكتبى وأنت ساكنة يا بنت .. فى نص السطر .. سر المتحولين الثلاثين .. موقع الحقيقة يكشف لكم سر البحث الغامض .. الذي كان وراء مقتل شخصيات طبية مؤثرة .. آخرها .. الدكتور عبد الباقي رضوان- وزير الصحة.

ثم راح يصدر أصواتاً شبيهة بقرقرة القطط، حتى ظنت سر أنه

سيتحول إلى قط عقالق:

- في قديم الأزمان .. ولد على أرض مصر .. جنس من الخارقين ..  
الذين امتلكوا قدرات لم يمتلكها بشر مثلهم.. وتوارثوها جيلاً بعد  
جيل.. حتى ظن الناس أنهم آلهة تمشي على الأرض ..

ثم نظر لها وقال في صرامة:

- وما تنسيش تكتبي أساميهم زي ما هي موجودة في صفحات  
البحث ده.

نظرت له سمر مستنكرة:

- هنكتب أسامي تاليتين بني آدم يا ريس .. كثير كده .. التحقيق  
هيكبر أوي .. ثم إلنا مش متاكدين من صحة الأسماء اللي في  
البحث دي.

- مش مهم .. إن شالله يبقى مليون صفحة .. أفهمي يا سمر  
واتعلميها بقي.

ثم نظر لها نظرة ثعبانية مأكرة، أو ربما نظرة حاول جعلها مأكرة،  
وتابع:

- الأسماء دي هتخلق حالة من الجدل الواسع .. أنت متخيلة لما  
تقولي للناس إن أوزوريس وإيزيس وميت دول مش آلهة .. دول  
بني آدمين زي وزيك بس عاملين زي أبطال القصص العصوره .. دي  
حاجة هتبيل الرأي العام.. وهتخلي المشاهدات في السما ..

وهتزود الكلكل .. الكل ..

- الكليكات ..

- أيوة هي البتاعة دي .. هتخليها تزيد وترفع البتاع اللي اسمه  
الريتش بتاعنا .. وماعتها كلنا هنقبض .. كلنا ..

زامت بشفتيها وغمغمت وكأنها تلوك كلامه وتندوق طعمه، ثم  
تابعت الكتابة، إلا أنه مألها متصنفا عدم الاهتمام في صوته الحاد:

- إلا قوليلي يا مسر .. أنت وصلت للبحث ده ازاي؟

راحت تستعدي الإجابة في عقلها، وتذكر

تذكر عندما عاد والدها القعيد من زيارته للمحلة، من بيت علالته  
الذي لم يطأه منذ أن ماتت أمها. كانت عائدة من مهرة نسائية  
لطيفة مع بعض صديقاتها، من النوع الذي تكون فيه النميمة هي  
الوجة الرئيسية على ملادة الحوار وما أن فتحت باب الشقة،  
وألقت بمفاتيحها على الطاولة الصغيرة بجوار الباب، وألقت تحية  
المساء على صورة والدتها المعطقة في منتصف حائط الصالة، لتسمع  
صوت والدها يأتي من غرفته:

- أنت جيت يا مسر؟

مشت في هدوء ناحية غرفة أبيها القعيد، الذي كان جالساً فوق  
المقعد ينظر إلى لوحة كبيرة تحتل نصف حائط غرفته، وتظهر  
جلسة محاكمة الموتى في ميثولوجيا مصر القديمة، اقتربت منه



في هدوء، ووضعت كفيها فوق كفيه، ثم منحته قبلة حنوًا على  
خده المتجدد:

- أتعشيت؟

- آه .. مسعد جابلي فطيرة مجق بس تستاهل بقلك.

- الكوليسترول يا حاج الكوليسترول.

صدرت منه ضحكة خافتة، ثم قال وعيناه معلقتان على اللوحة:

- غريب أوي المشهد ده .. ومبرج جدًا.

- اللوحة دي عندك بقالها يجي عشرين سنة .. وعمرك ما ركزت فيها  
أوي كده.

شاعت ابتسامة في تقاسيم وجهه، زادت من تجاعيده:

- يمكن عشان أول مرة أحس قد ايه أنا كالت عينيا مغمضة عن  
تفاصيل كثير أوي .. تفاصيل كالت قدامي من زمان .. لكن أول مرة  
أخذ بالي منها.

ثم أشار بيده إلى الكومود الخشبي العتيق جوار فراشه وقال:

- افتحي الدرج الأولاني .. هتلاقي ظرف بني كبير .. هتصوري كل  
الورق اللي مكتوب فيه بالعربي مش باللاتيني .. وهتشيليه معاك ..  
وفي الوقت المناسب .. هتنسري كل حرف فيه في الموقع بناع  
ماهر الرفاعي .. هو اسمعه ايه؟

- اسمه الحقيقة يا بابا.

لتسعت ابتسامته من جديد:

- أهو لأول مرة هيبقى اسم على مسمى.

نهضت من جواره، وفتحت الدرج وأخرجت منه المظروف  
السميك، ثم قرأت ما كتب على الغلاف:

- المتحولين الثلاثين .. ايه ده؟

ثم رفعت عينيها وهي تنظر إلى ظهر أبيها العجوز:

- أنا ما كنتش متخيلة إن البحث ده حقيقي.

- البحث ده لكتب من زمان أوي .. من أكثر من ١٥٠ سنة ..

- يعني ده مختلف عن البحث بتاع الخمس دكترة بتوع ال....

- اقري بنفسك وأنت تعرفي

صمتت وهي تكلم أنفاسها من فرط الإثارة، ثم قالت بصوت  
لاهت:

- وامتى هيجي الوقت المناسب ده؟

- لما يفرجوا عن محمد حارس.

علت الدهشة لتقاسيم وجهها، ووقالت

- وهم هيقبضوا عليه ليه من الأساس .. ده ظابط شرطة.

- لما يفرجوا عنه هتعرفي كل حاجة .. وساعتها بس هتنشري الحقيقة .. هتنشرها كلها.

- بقولك جبت مين البحث ده يا سمير؟

البتسمت ابتسامة غامضة وهي تتابع:

- دي بقى مصادري الخاصة يا ريس.

- مصادرك الخاصة .. جرى ايه يا بنت .. ده أنا ماهر الرفاعي .. يعني محدش يقولي مصادري الخاصة .. ده أنا بتاع المصادر.

نهضت وهي تحمل الكمبيوتر المحمول في يدها وقالت:

- خلاص يا ريس بلاش .. أنا آخذ البحث وأطلع على المدى .. وساعتها هيعملوله تغطية خاصة .. ومش بعيد يصرفولي مبلغ مكافأة بالدولار

نظر لها نظرة طفولية لائمة:

- سمير .. كده يا بنت أختي .. ده أنا خالو ماهر .. ده أنا اللي هطلعك سلم المجد الصحفي .. اقعدى اومال .. واكتبى كده معايا.

جلست وعلى وجهها نظرة انتصار خبيثة، ثم فتحت الجهاز من جديد وقالت:

- ممكن وأنت بتطلعي سلم المجد الصحفي .. تبقى تجيبلي لابتوب جديد

- او مال .. لابتوب وتابلت وكل حاجة .. بس كملي يالا ..

- اكمل ايه .. مش أنت اللي بتعلميني..

نظر لها نظرة بلهاء للحظة، ثم هز رأسه وقال:

- آه صحيح .. طيب كملي ورايا .. لكن السر في الأمر ليس فقط  
فيمن حاول إخفاء هذا البحث .. بل السر في شخصية مهمة ..  
ارتبطت بهذه الجرائم الخمس .. حتى أنها اتهمت بارتكابها .. وهذه  
الشخصية هي..

قاطعه سمر مكلمة:

- هي العقيد محمد حارس جاد المولى المصري .. الرجل الذي لم  
يكشف سر مكوثه بعد ..

\*\*\*\*\*

### المشهد الرابع

ليل - خارجي

حوت كا بتاح (منزل روح بتاح) - الجيزة

مساء الثامن من يوليو عام ألفين وثلاثين

الجو هادئ في منزل روح بتاح، أو ما تبقى منه.

منذ أن دمر هذا المكان الجميل في أزمنة سابقة، ربما على يد  
الفرس أو الرومان أو أو أو .. كثيرون مروا من هنا، وقليلون من

يعرفون ما يقع في ركن المعبد الشمالي الغربي.

مثل ذلك الرجل النحيل، الذي يخطو بخطوات واسعة واثقة داخل  
لنقاض المعبد المياه الجوفية التي تنفط معظمها منذ سنوات أثناء  
التنقيب، والأعمدة المتحطمة إلى كتل صغيرة تنام على جوانبها،  
والهلال المختفي في جانبه المظلم. وذلك الرجل المتحف بالسواد،  
وعلى رأسه قبعة مستديرة، يخطو داخل الأطلال. غير عابئ  
بالكلاب الضالة التي تنبح من مكان ما، ولا بالحراسة التي غفا  
معظمهم في تلك الساعة من الليل، مطمئنين على الحجارة التي لن  
يقربها لص، ولا بالأفاعي التي تختبئ في شقوق الحجارة الرطبة.  
وصل بعد قليل إلى أطراف الأرض التي كان يحتلها المعبد، ثم  
خلع قبعته، ووضعها فوق عمود متهدم، ثم ضم كفيه إلى بعضهما  
تحت ذقنه في وضع يشبه الرهبان البوذيين، وأغضض عينيه  
الرماديتين، وعلى وجهه ينمو شبح ابتسامة خبيثة، وهو يهمس  
قليلًا:

- السلام والمعبد عليك يا سيدنا المبارك .. أهلك قد جاءك بعد  
غيبة.

عوى كلب ضال في مكان ما، فجوابته ثلاثة كلاب غاضبة في  
تبادل للسباب أو ربما على سبيل فرض سيطرتها على المكان.

- لقد أتممت المهمة أيها المبارك .. ودفنت السرمع من حاولوا  
لبشه .. ومحوت الأثر الذي تركه أبنائك العاصون المارقون.

ثم رفع يديه إلى جانب وجهه، وكف يده مفتوح متوجه إلى زاوية  
المعبد القديمة وكله يحيي أحدًا:

- هم لا يفهمون يا سيدي .. يظنون أن عهدك لنا كان أن نترك  
العاديين يحكمون بلا إرشاد .. يظنون أنهم فهموا تعاليمك .. لكنهم  
لم يفهموا يا سيدي .. لم يفهموا أنك إن كنت حيًا.. لم تكن لترضى  
عما يفعلونه.

ثم صمت وهو يعيد ذراعيه إلى جانبه، ويفتح عينيه قليلًا:

- حتى ابن أوزير الأخير الذي تنبأت له بحياة لا تنتهي حتى يوم  
الدينونة. لم يفهم وصل ضللاً مبينًا ثم تقدم على قدميه بخطواته  
الواسعة حتى وصل إلى نقطة في الأرض التي كستها الحشائش،  
وصعد فوق حجر محيت نقوشه وتبدلت ألوانه، وفرد ذراعيه إلى  
جوار جسده على طولهما، ثم تألق جسده بضوء أحمر وبدأ جسده  
يرتفع عن الأرض قليلًا.

وكله موهك على الطيران

وراحت شفاته تتصمان بكلمات لن يفهمها أحد من أهل الأرض.

وجسده يرتفع رويدًا رويدًا، حتى صار في ارتفاع مبنى من أربعة  
طوابق.

ثم توقف جسده في الهواء، وكله معلق إلى السماء بحبل خفي.

- سيدي المبارك .. جنتك أبتغي العون.. فدلني على مكان بترك

الباركة..

ثم فتح عينيه وهو ينظر نحو بقعة من الأرض، تحتها قاعدة  
حجرية داكنة اللون، وقال:

- دلي يا سيدي على مكان البئر.. حتى أنهى ما بدأت منذ جئت  
من الغرب.

ثم راح يحرك يديه النحيفتين ذات الأصابع الطويلة، وجسده  
يتألق في الظلام حتى تحول إلى شمس حمراء قلبية.

ومع حركات أصابعه، راحت الرياح تهب حول حطام المعبد البائد.

بينما راح وجهه الأبيض الشاحب، يكتسب بشرة قمحية مشربة  
بالحمرة، واستطال شعره للأسود المتناثر فوق رأسه، بينما برزت  
أذناه واستطالتا حتى كادت تغادران رأسه إلى السماء.

وبعد لحظات، تحول وجهه إلى وجه يختلف عن وجهه القديم  
الذي دخل المعبد

فالآن، وجهه هو وجه ست، معبود الرياح، ربيب الثعالب، الشيطان  
القادم من الغرب.

لكنه عندما دخل المعبد، كان يحمل وجهها تعرفه جيدًا.

وجه مايكل سميتا

## المشهد الخامس

نهار - داخلي

وزارة الداخلية - القاهرة الجديدة

صباح التاسع من يونيو عام ألفين وثلاثين

دق الباب الخشبي اللئيق، دقات ثلاثية مميزة، فقالت إيرين  
بهذولها المعتادة:

- ادخل يا كريم.

فتح الباب، ودخل النقيب كريم لبيب، وهو في كامل أناقته،  
ورائحة عطر صيفي رائق تخترق الهواء نحو ألف إيرين، لتزلزل  
كيانها. سمعت الضحكة التي تعرفها ترن في أذنها، ورأت الخيال  
العجوز من خلف كتفي كريم يبتسم لها في حنان:

- والله وبقيتي بتسم البارفلات وبتاخدي بالك من الشياكة  
والوسامة يا إيرين.

فتبتسم ابتسامة خجولاً، وهي تعدل عويناتها على وجهها:  
- وبعدين معاك يا بروف .. أنا لسه أنتى وبتكسف.

بينما وقف كريم في مكانه، ونظر نحو ميري الجلوسة أمام  
المكتب، فوضعت الأخيرة أصبعها أمام شفيتها وقالت:

- ما تعملش دوشة .. أصله حض



- هو مين اللي حضر؟

- البروف.

هز كريم رأسه مبتسقا، فنظرت إلى وجه إيرين وهي تبسم  
ابتسامة حنوئا، بينما إيرين ما زالت تبسم في خجل.

- يا بروف أصله بيفكرني بيك.

تذكر لك حملت رواية حارس 6 الليلة الأخيرة حصريا ومجانا من  
على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات  
الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على  
جوجل واكتب في خلة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

- ليه .. هو عنده تصلب شرايين وضغط ومكر؟

- لا .. بس عنده مخ بيستخدمه.

اقترب منها الخيال العجوز حتى كانت تقسم أنها تشعر بلفحات  
من أنفاسه المعبقة بدخان السجائر المحلية، وأنها شعرت بكفه التي  
ريقت على وجهها النحيل:

- يبقى أنا كده أطمئت .. أطمئت يا إيرين .. بس خلي بالك.

ثم نظر إلى وجه كريم وهمس بصوته العجوز في جنبات عقلها:

- لسه حكاية حارس ما خلصتش .. دي لسه بتبتدي.

قطع شرودها وخيالاتها صوت الحلواني وهو يفتح المكنب

بعاصفة مدوية، وهو يصرخ قائلاً:

- سمعوا اللي حصل في ميت رهينة؟

ارتج كيائها، ونظرت نحوه نظرة بلهاء ماهرة، فنظر الحلواني إلى ميري، لتهز الأخيرة رأسها مؤمنة على ما ظنه:

- لا اصحي معايا يا إيرين .. الموضوع مش مستحمل مرحان.

صاح به كريم.

- ايه يا حلواني في ايه .. أنت مالك داخل بزعليبك علينا كده  
ليه؟

- هي الحقيقة مش زعليبي أنا.

ثم أخرج جهاز الكمبيوتر اللوحي من جرابه، وأزال قفل الشاشة، ثم رفع الجهاز في وجههم بعد أن شغل ذلك الفيديو. وعلى الشاشة ذات العشر بوصلات، حدثت مت عيون مذهولة فيما يحدث.

وعلى الشاشة، كان إعصار رملي عملاق يصل من الأرض للسماء، يدور بسرعة جنونية، بينما الأرض أسفله مغطاة بالحشائش الخضراء، وعليها تستقر أحجار قديمة كبيرة، وبقايا أعمدة قديمة، بينما يشع نور أحمر غريب من داخل الرياح الصاعدة

ثم لقطعت الصورة، وظهرت صورة لوجهين منتفخين، ملائهما الدمامل الحمراء ذات الرؤوس السوداء، واستحال بياض عينيها أصفر بلون الرمال الصحراوية، ويبدو من الثياب التي تكسو

أجسادهم المتقرحة العلية بالدمامل، ثياب رجال أمن بسيطة،  
استحال لونها إلى الأصفر من كثرة الأثرية التي تغطيها. ثم عادت  
الصورة المهتزة من جديد ليحلتها الإعصار العملاق ذو الضوء  
الأحمر وتخفي داخله الأحجار والأعمدة.  
ثم انقطع الفيديو.

وبعد أن احتل الصمت هواء الغرفة، حتى أن صوت هدير جهاز  
التكييف كان كدوي دراجة بخارية مسرعة.  
وكان كريم أول من تحدث:

- أنا لولا إني عارفك .. كنت قولت إنك جايب الفيديو ده من فيلم  
أجنبي أو من ناشونال جيوغرافيك.

لا يا كريم .. ده مش ناشونال جيوغرافيك .. ولا فيلم أجنبي  
هابط من بتوع لعات الصحاري .. الفيديو ده لقطته كاميرا موبايل  
بتاعة فرد أمن مدني بتاع الوردية الصلاحية لحراسة المنطقة  
الأثرية .. لما راح يستلم من زميله بتوع وردية الليل.. لقي المنظر  
ده .. ولقى زميله في الحالة المزرية دي.

تنحنت إيرين وكلتها أفاقت من غيبوبة طويلة وقالت:

- الدمامل دي شبه أمراض كتير أوي.. بس عمرها ما بتبقى  
بالحجم الكبير ده ولا بالشكل ده إلا بعد أيام من الإصابة .. مش بين  
وردية ليل ووردية نهار

أوما كريم براسه، وسال الحلواني:

- استجوبوا الصليين بتوع الأمن؟

- والنتيجة غريبة زي الدمامل اللي طلعت فجأة وكبرت فجأة ..  
الحراس بيقلولوا إنهم كانوا نايمين نوم غريب مش فاهمين سببه.  
ابتسم كريم ساخرًا:

- سببه الإهمال .. كالعادة .. أنا آسف معش كمل.

- ولما صحيووا بعد الفجربة بشوية .. لقوا الريح الغربية دي اللي  
هبة الإعصار .. والنور الأحمر اللي جاي من جواها .. واستغربوا ..  
فواحد منهم اتشجع وراح يشوف في آيه .. وبعدين قعد يصرخ زي  
المجنون .. ولما راحه زميله عشان ينجده .. لقي التراب بيضرب  
وشه ووش زميله .. وحسوا إن الإعصار بيشفطهم .. وهربوا منه  
بمعجزة.

قاطعته إيرين:

- طب والدمامل دي ظهرت امتي؟

- أول ما رجعوا على الاستراحة بتاعتهم .. لقوا وشهم اتنفخ  
واتعبى دمامل .. وقعدوا يغسلوه بمية .. فالدمامل تزيد وتكبر ..  
لحد ما بقت بالمنظر ده.

كالت إيرين شاردة تحديق في الفراغ، حتى أنها لم تسمع كريم وهو  
يسألها:

- ايه رايبك يا دكتورة؟ .. يا إيرين .. يا دكتورة!

- ها .. مش عارفة .. بس أنا ما أعرفش وباء ممكن يعمل كده  
بالسرعة دي .. وفي ظرف ساعات قليلة.

صدرت مهمة ساخرة من بين شفتي الحلواني ثم قال:

- وهو حد كان يعرف الكوفيد لما هل علينا يا دكتورة؟

- الكوفيد مرض تنفسي تحور من أمراض شبيهة بيه .. لكن كل  
الأوبئة اللي أعرفها اللي ممكن تعمل كده مهما تطورت مش هتوصل  
للنتيجة دي في ظرف ساعات أو دقائق زي ما فهمت منك.

ثم أخذت منه الجهاز اللوحي، وأعدت تشغيل الفيديو، وأوقفته  
عند صورة الحارسين المسكينين، وقطبت جبينها وهي تحاول  
استكشاف الأمر عن قرب، بينما همست ميري مذعورة:

- حوت كا بتاح.

نظر لها الحلواني مندهشًا، بينما قال كريم ساخراً:

- ايه يا ميري .. دي تعويذة ولا ايه؟

هزت رأسها ونظرت له قلالة في استنكار:

- حوت كا بتاح .. يعني منزل روح بتاح.

ثم أشارت إلى الكمبيوتر اللوحي متابعة:

- ده الاسم القديم للمكان ده .. اللي كان فيه معبد قديم .. ويقال

إن كان فيه ضريح بتاح .. وفيه كمان...

ثم صمتت وهي تنظر إلى إيرين، فقالت الأخيرة:

- اتكلمي يا ميري .. الاتنين عارفين كل حاجة عن البحث.

- فيه البئر المقدمة .. اللي كان بيشرّب منها المتحولين الثلاثين ..  
فتبدأ دورة حياتهم الجديدة تاني.

هدر صوت الطابعة، فالتفض جسد ميري، بينما توتر كريم، لكن  
إيرين تقدمت من الطابعة وانتظرت حتى انتهت من عملها، وحملت  
ورقتين كبيرتين علقتهما على اللوح المصنوع من العلين فوق  
الحائط الخاوي.

خد يا حلواني التابلت بتاعك .. عشان أنا أعرف أفحصهم  
براحتي.

كالت الورقتين تملآن صورتين، الأولى لوجوه حراس الأمن  
المساكين، والثانية لذلك الإعصار الذي يشع نورًا أحمر. لكن في قلب  
الإعصار، كان هناك شيء ما.

اقترب الحلواني من الصورتين، وراح ينظر إلى الصورة في تفحص،  
ثم قال:

- هو في خيال أسود في وسط النور الأحمر ولا أنا بيتهيا لي؟

- مش عارفة يا حلواني .. بس أنا برضه اتخيلت بيه.

اقترب كريم، وراح يدقق في الصورة وحاجبيه ملتصقين ببعضهما

البعض.

- مش عارف .. مش حاسس إن في حاجة.

- ما علينا.

قالتا إيرين وهي تشير إلى الوجوه المنتفخة:

- حد بلغ مركز التحكم في الاوبئة؟

فاجابها الحلواني في هدوء:

- حصل .. وزمانهم حوطوا المكان وعزلوا الاثنين الحراس وزميلهم

اللي كان رايح يستلم منهم .. وكل العساكر والطقم الطبي اللي راح

يحاول ينقذهم .. بس واضح إن في عدوى وهم مكتفين على

الموضوع عشان ما تحصلش نوشة من بدري.

ابتعد كريم عن الصون وجلس على المقعد المواجه للمكتب،

وحاجبيه ما زالا منعقدين وهو يفكر في كل ما يحيط بهذه الحادثة.

- أعتقد إننا محتاجين نبص في البحث ده أكثر يا ميري .. يمكن

نلاقي حاجة ليها علاقة بالموضوع ده.

- مش ضروري يا كريم باننا.

التفت الجميع إلى ذلك الصوت الصادر من على باب المكتب، حيث

يقف رجل بدين، له ذقن نامية، وعيناه ضيقتان تشعان بريقًا خبيثًا،

ويداه تستقران في جيب بنطاله الواسع. وما أن راه الحلواني، حتى

قال:

- أهلاً يا سيف باشا .. خير؟

نظرت له إيرين قلالة في سخط غير مبرر ربما من فرط توترها:

- حضرتك دخلت هنا ازاي

- عادي .. لقيت الباب مفتوح .. فدخلت.

همت أن تقول شيئاً مخيفاً من جديد، لكنه اكمل دون أن ينظر لها:

- أعتقد يا كريم باشا إنكم مش لازم تقرؤوا البحث كله .. عشان في شخص واحد بس يعرف ازاي يوقف اللي بيحصل ده.

نظر كريم إلى الحلواني ثم قال متشككاً:

- ويطلع مين الشخص ده؟

أشار سيف نحو صورة بدرجات الرمادي على الحائط الأيمن،  
تتوسط صوراً للأوراق التي وجدوها بجوار الجثث الأربع. صورة  
لوجه صارم، حاد القسمات، كان يمثل المشتبه به السابق، نظر  
أربعتهم إلى الصورة، ثم همست ميري:

- محمد حارم!

نظر كريم في حدة إلى سيف، ثم قال:

- وايه علاقة محمد حارم بالموضوع ده؟

- هحكيلكم كل حاجة يا كريم باشا .. بس صبرك عليا آخد نفسي



.. أنا بقالي ربع ساعة بدور على المكتب ده..

ثم تقدم من مقعد جلدي آخى مقابل للمكتب، ورمى بجسده عليه،  
ثم أمسك بكوب ماء وجده فوق المكتب، وراح يصب الماء في جشع.  
بينما قال الحلواني ساخراً:

- فينه الخواجة سميت .. كان زماله سمعنا محاضرة عن محمد  
حارس .. وازاي هو اللي ورا كل حاجة .. رينا يخلصنا منه.

أنهى سيف كوب الماء كله، ثم نظر إلى الحلواني وقال:

- ما تقلقش يا حلواني .. أنت مش هتسمع من مايكل سميت تاني  
.. عشان مايكل سميت ما بقاش له وجود خلاص.

- إيه .. مات؟

ابتسم سيف ابتسامته الساخرة الخبيثة، ثم نهض من على المقعد  
كأنه فرس نهر يخرج من الماء، ثم وقف أمام الصور وقال:

- لا .. مايكل سميت .. انسلخ من فوق شكله الحقيقي .. ورجع  
لمكانه المناسب.

تساءلت ميري مندهشة:

- فين مكانه المناسب ده يا فندم؟

التفت لها سيف، ثم أشار بأصبعه إلى وسط صورة الإعصار  
المتوهج باللون الأحمر أشار إلى ذلك الظل الأسود الباهت في

منتصف الإعصار

الظل الذي يشكل جسد القادم من الغرب.

مت!

\*\*\*\*\*

المشهد السادس

نهار - داخلي

منزل اللواء إبراهيم عبد الفتاح

صباح الحادي عشر من يوليو عام ألف وتسعمائة وثمانية وتسعين

كان سيف المراهق، ابن الثامنة عشرة، طالب كلية الشرطة، مترهل  
الجسد من أثر وزن زائد قديم، يجلس مهتما للغاية، وكل ذرة فيه،  
منغمسة في تلك الرقعة المكونة من مربعات بيضاء وسوداء.

كان كعائته، يلعب مباراة حامية، بينه وبين نفسه!

وهم بتحريك الفيل الأسود، لكن الباب دق في هدوء، فتوقف عن  
اللعب، بينما فتح الباب، وظهر على عتبة والده، اللواء إبراهيم عبد  
الفتاح

- صباح الخير يا سيف.

- صباح الخير يا بابا.

- معليا ضيف.

كان سيف يكره الضيوف كما يكره الألوان كما يكره الأشجار ويكره  
الغناء. إلا أن ذلك الواقف على باب الغرفة، نجح في لفت انتباهه.  
مراهق على أعتاب المراهقة، طرق باب المراهقة كما يقول والده،  
في حوالي الثالثة أو الرابعة عشرة، يقف منتصب القامة، بلا  
ابتسامة مخيفة، ولا عيون خاوية، ولا ألوان فاقعة، ولا بنطال ذي  
أرجل واسعة فوق حذاء ريدونج ذي مقدمة محشوة بالمعدن.  
ببساطة، ليس مراهقًا تقليديًا من التسعينات.

- قوم سلم على صديقك .. محمد حارم ابن اللوا جاد المولى الله  
يرحمه.

نهض سيف، وتقدم من محمد حارم، وصافحه، ليشد الأخير يده  
على يد سيف:

- محمد هيقعد معنا في البيت هنا شوية لحد ما اللوا جاد المولى  
يقوم بالسلامة .. وهنخلي بالنا منه كانه واحد منا.

بدأ سيف يكرهه من جديد، إلا أن شيئًا ما في عيني حارم الصغير  
جذب سيف. كان يريد أن يعرف أكثر عن ما تخفيه هاتين العينين  
الذكيتين:

- حاضر يا فندم .. اعتبره حصل.

ضحك اللواء إبراهيم، وريت في قوة على كتف سيف، ثم ريت

على ظهر محمد حارس الصفيين وأغلق الباب خلفه مغادرًا الغرفة.

وما أن أغلق الباب، حتى تحرك سيف في هدوء ناحية رقعة الشطرنج وجلس خلفها وهو يرتب القطع من جديد قائلاً:

- بتعرف تلعب شطرنج؟

- ها .. نعم؟

- بقولك بتعرف تلعب شطرنج؟

ابتسامة حارس الواسعة ملأت تقاسيم وجهه المراهق الوسيم، حتى أن سيف شعر لوهلة أن الغرفة أضاءت من حوله.

- طب اسحب كرسي وتعالى أغلبك.

- أنت واثق أوي إنك هتكسب؟

- طبفا .. البطولة اللي ممكن تعملها إنك تطول الجيم معاليا شوية.

مسح حارس مقعدًا، ووضع أمام الطاولة الصغيرة، ثم جلس أمام رقعة الشطرنج

- اللعب أنت بالأبيض عشان تبدأ الأول.

ابتسم حارس الشاب، ونظر في عيني سيف نظرة لن ينساها طوال عمره قائلاً

- اللعب أنت بالأبيض .. أنا بحب للأسود جدًا.

وبدأت العبارة.

وبعد خمس دقائق من النقالات المتوالية، وأقطع الميتة، وجد سيف نفسه في موقف لا يحسد عليه.

ملكه الأبيض محشور بين زوج من البيارق السوداء وخلفه حصان وفيل أسود يهددان حياته -الملك لا سيف- بينما قطعه البيضاء ترقد في سلام على جانب الرقعة

- أنت ايه .. شيطان .. ده أنت زي ما تكون بتقرا أفكارى.

- فعلاً .. أنا بقرا أفكارك.

نظر سيف إلى وجه حارس في استنكار ومسخط.

استنكار لكلماته البسيطة، ومسخط من بساطة الطريقة التي نطقها بها.

- يعني أنت دلوقتى مثلاً بتقول فى شرك .. العيل أبو هخه ده يستحيل يغلبني بمجهوده ... أكيد أنا عملت نقلة غلط خلية يركب الجيم كده.

اتسعت عينا سيف، ولأول مرة في حياته القصيرة يشعر بهذا القدر من الذعن فالجملة في رأسه كانت كما قالها حارس بالنص.

- ودلوقتى مثلاً بتقول لنفسك إن يستحيل يكون الواد ده طبيعى .. ده أكيد مخاوى.

نظر سيف إلى حارس بمزيج من الدهشة والذعن ثم تراجع في

مقعده الجلدي الكبير مبعثاً يديه عن رقعة الشطرنج، بينما رفع  
حارس رأسه الفتى، ونظر بعينه الواسعتين إلى سيف قللاً في  
هدوء زاد من فزع سيف:

- بص يا سيف .. أنا هحكىلك حكاية غريبة شويتين عني .. الحكاية  
دي هتعرفك ليه أنا عرفت أسمع كلامك قبل حتى ما تقوله ..  
وخلفتني أتوقع كل حاجة أنت بتفكر تعملها قبل ما تعملها فعلاً.  
ثم قرب وجهه من سيف عبر رقعة الشطرنج وتابع:

- وهحكىلك عشان مسبين .. عارف أيه هم؟

هز سيف رأسه يمناً ويسرة وعيناه الفزعتان لا تفارقان وجه  
حارس:

- السبب الأول إن شوفت جوة عقلك أبواب كتير أوي مفتوحة ..  
أبواب بطل بني البشر يستخدموها .. فتفكيرهم بقى محدود  
وخيالهم بقى أضيق من خرم الإبرة.

بدأ سيف يشعر بالهدوء فجأة، وكان مرببلاً من هواء منعش بارد  
يغزو جنبات عقله، وأطرافه المتوترة ترتخي كله يسبح في حوض  
ماء دافئ.

- والسبب التالي إنك لو حكيت الكلام ده لأي حد .. هيقولوا عليك  
مجنون وبتخرف .. ومش بعيد لو أصريت يحطوك في مصحة  
نفسية وتخسر مستقبلك المهني المشرق قبل ما تبدأ.

للمرة الأولى منذ أن دخل ذلك المراهق الغريب إلى الغرفة، يتسم سيف ابتسامته الساخرة العابثة، وهو يسأل:

- ويا ترى أيه الحكاية .. اظن هتقولي انك كلن فضائي .. أو كلن من عالم غير عالم البشر .. أو جاي من المستقبل أو من بعد موازي. ولا أي حاجة من دي .. أنا بشري زي زيك .. الحاجتين اللي بيميزوني عنك بس هو إن ربنا خلقي هوية مواهب ومهارات أكثر من قدرات البشر العادية .. والحاجة التالية إن عمري طويل هويتين.

ضيّق سيف عينيه قليلاً، وقرب وجهه من رقعة الشطرنج بينما راح يعبث بيده أسفل في حقيبته الصغيرة المعلقة على طرف الكرسي، وهو يتأكد أن حارس ما زال ينظر إليه بشكل كامل:

- وبعدين معاك يا سيف .. خلي أيدك جنبك وما تفكرش تطلع إلّا لكتريك هوك من الشنطة .. لأنه مش هياثر فيا.

تجمدت يده المفتلة داخل الحقيبة ثم مسحها بهدوء ووضعها فوق ركبته موازية للأخرى، وراحت أنفاسه تتلاحق وهو يقول:

- أنت أيه .. وجيت منين .. وعمرك الطويل ده كام سنة .. واسمك الحقيقي أيه .. لأنه أكيد لا حارس ولا محمدا

لهض حارس من على مقعده، وتمشى بخطوات ثقيلة فوق السجادة الحمراء ذات النقوش الزرقاء الباهتة. خطوات لا تليق أبداً بمراهق في الثالثة عشرة، خطوات واثقة هائلة أشبه بخطوات

جنرال حربي في غرفة القيادة ثم توقف أمام النافذة الزجاجية،  
وقال في هدوء:

- أنا زي ما قولتك .. بشري زي زيك .. وجيت من نفس المكان  
اللي جه منه كل البشر .. ربنا خلقني في رحم أمي وأولدت بعد  
تسع شهور .. هنا .. على نفس الأرض دي .. للأرض اللي اسمها مصر  
.. أو جيبتموس .. أو تومري .. أو كيكت .. اسمها زي ما تسميها ..

تذكر أنك حملت رواية حارمن الليلة الأخيرة حصريا ومجانا من  
على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات  
الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل العزيز ادخل على  
جوجل واكتب في خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

قطرات المطر لتساقط خارج النافذ، وتدق بهدوء على جهاز  
التكييف الصغير:

- وفي دورة من دورات حياتي اللاهائية .. أخذني الراجل الطيب  
اللي اسمه جاد المولى من حفرة صغيرة في الصحرا .. لقاني واقع  
مغمى عليا فيها .. وبعد ما طبيني وراعاتي هو ومراقه المسكينة  
العقيمة .. قرر إنه يعملني شهادة ميلاد .. وبخليني ابنه الوحيد اللي  
ما خلفوش .. لكن الرب الخالق ما أمهلوش وقت كفاية عشان  
يربيني.. وراح هو وأمي في حادثة العربية المشهورة.

ثم مرح بعينيه الواسعتين إلى ما خارج النافذة الزجاجية ذات  
الخدوش الصغيرة، وراح يراقب قطرات المطر الضعيفة التي



تتساقط فوق أرضية الشارع الخاوي، وقال:

- وعمرى الطويل ده تقريبا حوالي خمس آلاف سنة .. بالتحديد أربع آلاف وتسعمية وتسعين سنة .. أما اسمي .. فلنا ليا اسمامي كثير أوي أوي .. لكن أقربهم لقلبي هو الاسم اللي معطني بيه أمي الروحية المباركة.

ثم التفت إلى سيف ونظر في عينيه الذاهلتين الفرعتين وقال هامسًا:

- أبو

\*\*\*\*\*

### المشهد السابع

ليل - داخلي

وزارة الداخلية - القاهرة الجديدة

مساء التاسع من يونيو عام ألفين وثلاثين

- وبعدها بقينا أصدقاء .. أو تقدي تقولوا .. إخوان .. لسنين كثير أوي .. كتعلمت فيها منه حاجات كثير.. حاجات خلتنى سيف عبد الفتاح اللي كنته قبل ما أخش المصحة.. حتى إنه حصلني بعدها ودخل كلية الشرطة .. وبعدها اتعرف على المرحومة مراته وهو بيخدم في قسم مصر الجديدة.. وانتقل بعدها وحدة للأمن الوطني .. وانقطعت أخباره تمامًا.

ابتسم كريم ابتسامة ساخرة:

- أنا قولت كده برضه .. ما يخفيش الصفحات دي من ملف خدمته  
إلا الأمن الوطني..

- الحقيقة إن الصفحات دي مش هو اللي خفاها .. بس دي قصة  
تالية مش وقتها دلوقتي..

- وأنت بقى المفروض عايزنا نصدق الكلام ده؟

للمرة الأولى منذ أن دخل الغرفة، نظر سيف إلى كريم في غضب  
بعد أن أتم جملة الساخرة، إلا أن تعبير الغضب اختفى مباشرة،  
وحل محله تعبير بارد هادئ:

- صدق أو ما تصدقش يا كريم باها .. دي مش مشكلتي ..  
مشكلتي دلوقتي الناس اللي ماتت وهموت بسبب اللي بيحصل  
في أنقاض قصر بتاح .. واللي هيعمله العفريت للأسود ده عشان  
يمحي أي وجود لبحث المتحولين اللي معاكم ..

تنحنت إيرين ومالت بصوت مختنق:

- هيمحيه أزاى يا سيف باها .. ده كلام اتسجل واتصور واتعمله  
مكان وزمانه هيغرق الإنترنت .. يعني محدش يقدر يخفيه.

- أدبك قولتي بنفسك يا دكتورة .. كلام .. مجرد كلام .. لكن لما  
يختفي كل دليل على الكلام ده .. هيتحول لمجرد نظريات خيالية  
وتخاريف بتحكيها العجائز زي قصص أمنا الغولة وأبو رجل

مسلوخة.

وما أن أتم عبارته، حتى غمغم كريم بكلمات ساخطة ساخرة:

- والله ما في تخاريف أكثر من اللي أنت بتقولها.

التف سيف بكامل جسده البدين ناحية كريم، وعلى وجهه علامات الغضب الهادر للمرة الأولى منذ أن ترك الخدمة في الشرطة:

- إذا كنت معتبر كلامي تخاريف يبقى روح بنفسك شوف الإعصار اللي بيقلب وشوش الناس كده وفسرلي سبب إن إعصار زي ده يظهر في المكان ده في شهر يوليو. ويفضل موجود ما بيتحركش اليوم كامل وبيشع نور احمر زي ده.

نهض كريم غاضباً ووقف أمام سيف في تحد:

- كل حاجة في الدنيا ممكن يكون ليها تفسير منطقي .. غير إن تفسيرها يبقى محاولة بالسة منك لاستدعاء خرافات وخيالات زي دي .. ومحاولة إنك تخليها حقيقة.

- المحاولة البالسة الوحيدة اللي أنا شايفها يا حضرة الضابط هي محاولتك إنكار كل الحقائق اللي قدامك واللي أنا شايفه يستحق إنك تفكر تتعالج نفسياً

اقترب كريم أكثر من سيف وقال وهو ينظر في عينيه بنظرة ساخرة متحدية:

- اهو أنا دلوقتي بفكر آخذ نصيحتك بعين الاعتبار .. وخصوصاً

إنك صاحب خبرة في المجال ده.

- بس يا كريم!

صاح الحلواني غاضبًا، غاضبًا كأنه نمر مفترس داس أحدهم على ذيله:

- كلمة زيادة كمان وأنا اللي هقفلك.. وابقى فكر مجرد تفكير إنك ترد عليا كده.

نظر كريم إلى الحلواني، ثم إلى سيف، وكأنه يزن جدية هذا التهديد، ثم تركهما واتجه ناحية الباب، والتفت إلى الجميع، وكأنه يلقي نظرة أخيرة عليهم، ثم قال:

- يبقى خليكم عايشين جوة الوهم .. لكن أنا قررت إني ما أبقاش جزء من المهزلة دي.

ثم خرج وصفق الباب خلفه في عنف.

خيم الصمت على فراغ الغرفة، ثم قطعه الحلواني قللاً في هدوء:

- محمد حارس جالي المكتب في الوزارة هنا من فترة .. ساعة لما كنا بنفتش وراه زي ما الشيطان وموسلنا .. وقالى على حاجات غامضة ومش مفهومة .. بس قالى إن مفتاح كل حاجة هو سيف .. وسيف هو اللي هيعرف يفسر كل حاجة.

ثم التفت إلى إيرين وتابع:

- ساعتها كلمني عن البحث .. وقالى إنه عمل كل حاجة عشان

يحافظ على النسخة الأصلية اللي خباها من أربعين سنة في بيت  
غنيم .. وعن الكوارث اللي عملها الضحايا الأربعة.. وازاي إن غرضهم  
مكاش بس إنهم يبحثوا .. لا كانوا عايزين اللي أكثر من البحث ..  
ثم نظر إلى صورة الإعصار الأحمر المتوهج، وقال في خفوت  
بصوت أهبه بالفصح:

- وإن اللي جاي بعد كده عنوانه الموت.. الموت وبس.

\*\*\*\*\*

### المشهد الثامن

نهار - خارجي

موقع تنقيب آثار قصر أوزريس - صحراء حلوان

صباح العاشر من يونيو عام ألفين وثلاثين

وقف الدكتور سعيد عبد الغفار فخورًا، منتصب القامة وقميصه  
الأبيض الكتاني معجون بالعرق والأتربة، بينما عيناه تلمعان ببريق  
أخاذ، وهو يتسم لزملائه وعمله كأنه نجم سينما فوق مجادة  
حمراء، فالיום هو اليوم الذي حلم به منذ خمسة أعوام كاملة. منذ  
أن جامعته تلك الرؤيا بين النوم والصحو، تدعوه إلى البحث عن قصر  
المبارك أوزين أو أوزريس كما أصبح يلقب في عصرنا هذا.  
يتذكر ذلك اليوم كأنه البارحة.

كان جالسًا في حديقة منزله للأيقنة الصغيرة في مدينة الغردقة،

حيث اختار أن يستقر بعيداً عن القاهرة، مسترخياً على أريكة صغيرة في شمس أكتوبر الدافئة، عندما هبت عليه رياح النعاس، وأسلم جفنيه ليسقطا فوق عينيه العسليتين. هنا سمع الصوت الرخيم يتردد في أذنه:

- يا سعيد احفر قرب العين تجد منزل المبارك أوزير

حاول أن يفتح عينيه، لكن جفنيه أعلن العصيان، وثقل لسانه وهو يرد كأنه مسكر بيرميل خمر رديء:

- عين ايه وازاي وهو أوزير عنده؟

لكن الصوت ازداد صرامة وحزماً كله يأمره أمراً:

- احفر عند العين .. جنوب مدينة بتاح.. ستجد منزل المبارك أوزير

ثم سمع الصوت يردد نفس الجملة من جديد، يرددّها بلا نهاية. وبعد لحظات، استيقظ سعيد.

استيقظ عازماً على تنفيذ الأمر

واليوم، وبعد خمس سنوات من التعقيدات، والروتين المصاب بتصلب الشرايين، والاتهامات بالجنون وإهدار الموارد

وصل إلى سقف منزل حجري، نقش عليه بالهيروغليفية كلمات تقول

«إليك أيها الرب الواحد .. يصبح أوزير كل صباح ومساء»

وعندما تعمق في الحفن وجد جدارا تهدم معظمه، إلا أنه التقط  
منه جملة واحدة صريحة

«مبارك يا من كانت قيمت أرضك .. وبيت أوزير بيتك»

وهنا جن جنونه فرحاً.

حتى أنه عندما اتصل بزوجه وحبيبته والشخص الوحيد الذي  
أمن به في تلك الرحلة، كان لا يقدر على تجميع كلمتين في جملة  
مفيدة:

- لقيته .. لقيته يا مایسة .. لقيت اللي .. لقيته وأكيد هو اللي ..  
لقيته.

وأختلط في أذنه تهليل العمال حوله فرحاً لفرحته، ودموعه  
الساللة بغزارة على وجهه الوسيم، وصوت زوجته وهي تضي فرحاً  
به.

قطع تأملاته صوت مساعده الأول، والّل، وهو يقول:

- دكتور سعيد .. لازم تيجي تشوف ده حالاً.

هدد القبعة على رأسه، ومسح عرقه السّالب بين شقوق وجهه، وهو  
يهرول ناحية الشيء الذي كان والّل يريد أن يراه، كان ما بين يدي  
والّل لوخاً صغيراً من البازلت، كان قريباً في الحجم من كمبيوتر  
لوحي، نقشت عليه مجموعة رموز بالهيروغليفية، متراصة في

خمس مجموعات، كل منها تحوي ست مجموعات من الرموز.

تناول اللوح الذي يمسكه وائل، وراح يمسحه بمنديله الذي يمسح به عرقه، وهو يعرر أصابعه على الرموز المنقوشة بحرفية عالية في قلب الحجر ويغمغم بكلمات تترجم ما تلمسه يداه:

- خير يا دكتور .. شاف ايه؟

لكن سعيد لم يرد.

كان الآن في عالم آخر

كان يرى أمامه مجموعة من ثلاثين شخصاً تقف متقاربة متقاطعة كأنهم عناصر لوحة رسمها دافنشي.

- يا دكتور سعيد .. أنت ما بتدريش علي ايه؟

لمس بيده نقشاً على زاوية الحجر لا يبدو وكأنه جزء من الثلاثين اسماً، يبدو كثلاث بوابات أو أقواس متجاورة، ثم قال في ذهول وهو لا يرفع عينيه عن اللوح:

- ماعب .. ماعب .. ثلاثين .. أولهم هو وتفنوت .. ثلاثين ..

ثم راح يلمس الأسماء وهو يردد كالمعسوس:

- بتاح .. أوزير .. إمت .. خونسو .. تحوتي .. سخمت .. مت ..

ثم صمت والتفت إلى وائل وعيناه مغرورتان بالدموع:

- الاكتشاف ده هيفير التاريخ يا وائل.. أحنا صنعنا تاريخ جديد يا



والل.

ثم راح يرقص وهو ممسك باللوح، وهو يردد الجملة كالمسوم،  
والعمال يحدقون فيه وعلى وجوههم ضحكات تختلط فيها  
السخرية بالشفقة بالفرحة بالإرهاق:

- تاريخ جديد يا والل .. تاريخ جديد .. كده فاضلنا نلاقي  
الموميا .. ونعبت إن أوزير حقيقة .. حقيقة .. سامضي يا والل  
لكنه تفاجى بذلك التعبير على وجه مساعده والل، بل على وجه  
كل من يقفون حوله.

تعبير مختلط من الذهول، والفرح، وبريق خوف حيواني، وفك  
متدلي من أثر الصدمة.

وهو ما أجبره أن يلتفت إلى ما ينظر له والل.  
وإلى ما ينظر له الجميع.

وما أن رأى ما رآه والل والعمال، حتى انتقلت كل هذه المشاعر له.  
الصدمة، الفرح، الدهشة، الخوف الحيواني.

وكان هو أول من نطق:

- مستحيل .. مفيش الكلام ده في مصر أبدًا .. ومش في شهر  
يوليو ومش ...

ثم صمت لشعوره بسخافة ما يقول.

فأمام العيون الفزعة، تشكل إعصار صاعد من الهواء المليء بذررات  
التراب، يصعد من الأرض إلى ما لا نهاية، ويتألق بضوء أحمر وهاج.  
وقبل أن يتحرك خطوة واحدة، هو أو أي عضو في فريق التنقيب،  
سمع الصوت الغليظ المبحوح يأتي من كل مكان حولهم:

- فلتحل اللعنة على من ينبش في قبور الماضي ..

راح العمال يركضون بلا هدى ولا ترتيب في كل مكان، بينما ارتفع  
الصوت من جديد يردد في غضب

- سيدي .. هذا خادمك المخلص .. يأتيك بعبيدك المليئة قلوبهم  
بالخطايا .. فامنحهم صك العفو.. أو فلتجعلهم فداء لرمالك  
المقدسة.

ثم زادت حدة الإعصار وسرعة دورانه، وهو يقترب في حدة نحو  
مركز الحفريات.

عند موقع منزل أوزير

وعلى الرغم من ركض العمال في كل مكان، فقد راحت الرياح  
تلهو بهم كطفل يلهو بدمية قماشية، والرمال تضرب وجوههم التي  
ضربتها الشمس، فراحت الدماء تسيل من وجوههم وهم يصرخون  
في رعب.

وفي وسط الإعصار في مركزه بالتحديد وقف الدكتور سعيد  
ينظر إلى الإعصار في دهشة، بينما الرمال تضرب وجهه الواسع

وتهيل التراب على جسده الواقف ثلثًا بلا حراك وبلا إحساس.

وبينما الرمال تغرقه في قلبها، وهو فاقد الإحساس، متبلد الشعور، لا يقاوم ولا يقدر على المقاومة، نظر إلى اللوح . الجرانيتي في يده ثم همس بأخر كلماته قبل أن تغمره الرمال:

- مستحيل!

وبعد نصف ساعة بالتمام، توقفت الرياح، واختفى الإعصار الأحمر  
الثالث.

اختفى مثل سعيد ومساعديه وعماله الفارقين في الرمال  
اختفى كأن لم يكن.

\*\*\*\*\*

المشهد التاسع

ليل - داخلي

ملجا إيزيس للفتيات اليتيمات - مدينة الشروق

مساء العاشر من يونيو عام ألفين وثلاثين

جلست الأستاذة منى سالم، مديرة وصاحبة ملجا إيزيس  
للقاصرات اليتيمات، على طرف الفراش بجوار ليلى.

وليلى فتاة جميلة، لها شعر أسود مجعد متشابك، وعينان  
واسعتان خضراوان بلون عشب المراعي، وضحكة بريئة مجلجلة.

ليلى فتاة يتيمه، تركتها أمها على باب أحد الملاجئ، ومعها شهادة ميلاد ورقية كتبت بخط ميين كالأيام، وكبرت في الملجأ حتى بلغت من العاشرة، ثم فرت منه عندما حاول أحد الحراس التحرش بها، بل وكاد ينجح، وعندما صرخت، ضربت.

ضربت وهي الضحية.

كالت منى تربت الآن على شعرها، ثم تجس جبهتها بكف يدها وتغمغم في خفوت:

- سلامتك يا ليلى .. بعد القدر عليك.

ليلى تذكرها بنفسها، بل تشعر معها أنها تجلس مع نسخة مصغرة منها. الشعر الأسود المجعد الثلاث والعشرين الواسعتين، والضحكة الطفولية البريئة. ونفس القصة بحذافيرها.

الملجأ، للإهانة، القهن الذئب الذي يشتهي الحمل، الصراخ، الضرب، الهروب. لكن مي كان حظها سيئًا. فبعد أن فرت وهي في الثالثة عشرة من عمرها، قابلت محمد حارس. كان ضابطًا شابًا في أواخر عشريناته، وميقاتًا صارم الملامح، له أنف هامخ وعينان سوداوان عميقتان. وصوت حنون عميق.

وكان يتيقًا مثلها، يتيقًا وحيدًا، ترك البيت الذي نشأ فيه، وأصبح ساكن الليل، ربما بسبب عمله، أخذها إلى منزل ميدة طيبة عجوز وطلب منها أن ترعاها وتكفلها، على أن يتكفل هو بكل شيء.

كالت تظن أنها فترة مؤقتة، وسيتحول هذا الرجل الطيب الدمث

إلى ذئب آخر يشتهي الحمل، لكنها كبرت، ونهبت إلى المدرسة، ثم  
أنهت دبلوم التجارة، وأنشأت مشروعها الخاص، وأصبحت تكسب  
المال ربما أكثر ممن كان يتكفلها.

وفي أحد الأيام، زارته في منزل حماته العجوز بعد أن ماتت  
زوجته.

- أراي ارد جميلك عليا يا أبيه حارم؟

- أنا ماليش جميل عليك يا مي .. أنا كل اللي عملته إني ادبتك  
فرصة تالية .. زي ما ربنا ادھالي زمان.

ابتسمت في حان وهي تربت على كتفه:

- طب اطلب مني اي طلب وأنا هنفذه.

ابتسم ونظر لها نظرة مطولة، رأت فيها شيئا من حزن مختلط  
باليأس في عينيه الذكيتين، ثم قال:

- حاولي تدي غيرك فرصة تالية .. فرصة يستحقوها ..

ثم أشاح بوجهه نحو النافذة، وقال وهو يغمض عينيه في ضوء  
الشمس الذي كسا وجهه:

- وسميه إمت .. ملجا إمت.

- مين إمت دي يا أبيه؟

نظر لها من جديد بنظرة خاوية، ثم قال

- إيزيس .. سميه إيزيس.

- الله .. اسم جميل .. ومعب .. عشان نكون في نفس حنان وحب  
إيزيس لابنها حورس.

ابتسم حارس ساعتها ابتسامة واسعة وقال في خفوت:

- مفيش حد في حنان إمت .. قصدي إيزيس.

ثم ربت بكف يده على وجهها وقال:

- وعشان تبدأي بداية جميلة .. هديك حاجة تعطقيها في مكتبك ..  
مكتب مديرة الدار.

ثم مد يده إلى المكتب جواره، وتناول علبة معدنية تقشر طلاؤها،  
وفتحها بحرص، ثم تناول منها قلادة نحاسية جميلة:

- دي أصلية دي يا أبيه ..

- تقدري تقولي كده.

- أنت بقيت بتتاجر في الآثار؟

- الله يخرب بيتك هتوديني في داهية.. ثم إن كلمة أصلية مش  
معناها إنها مسروقة.

ثم قال وهو ينظر إلى القلادة في افتتان:

- أصلية عشان شيلة جواها حاجة أصلية جميلة ..

ثم وضعها في يدها وقال:

- علقها في مكتبك .. أنا بتفائل بيها جدًا ..

يومها قلبتها على ظهرها، وراحت تحاول فهم الرموز الهيروغليفية التي كتبت على ظهرها، وعندما سألت صديقتها ميري، طالبة في كلية علوم المصريات، قالت:

- مكتوب عليها .. امش يا بني في طريقك تحميك إرادة الرب وبركة إمت

- كلام جميل أوي أوي-

- لا والحقيقة مكتوب بحرفية عالية .. محدش بيكتب

الهيروغليفي بالترتيب ده إلا لما يكون عارف الرموز كويس.

رفعت كمادة الماء البارد من فوق رأس ليلى، ثم جست جبهتها من جديد، ثم مسحت الماء عن أطراف شعرها اللان وقبل أن تضع الكمادة الجديدة، سمعت الصوت.

صوت ربح غاضبة عنيفة، تضرب الزجاج والأبواب في عنف، حتى أوهكت على خلعها من مكاتها.

- مترك يا رب.

ثم وضعت الكمادة على جهة ليلى، وهبت مسرعة نحو الممر ومنه إلى المدخل للأمامي للملجأ الكائن بفيلا أديقة بضاحية هادئة، في أطراف مدينة الشروق.

سمعت صوت صفير الريح القوي، فأحكمت إغلاق الباب، ثم ذهبت  
إلى النافذة الزجاجية، وأراحت شرائح الستائر.

ويا لهول ما رآته!

فعلى امتداد بصرها، رأت إعصارًا صاعدًا من الأرض حتى عنان  
السماء، يتوهج بضوء أحمر قان، يتقدم بسرعة من الصحراء نحو  
المنطقة المحيطة بالدار.

- دادة عفاف .. دادة عفاف

راحت تصيح منادية مساعدتها، فجاءت المرأة الخمسينية النحيلة  
تركض في فزع بتياب النوم:

- أيوة يا آنسة مي .. أنا كنت .. أيه ده .. يا ملتر يا رب!

واتسعت عيناها فزعًا، وهي تقف إلى جوار مي مراقبة ذلك  
الإعصار الذي يتقدم نحوهم.

- اقفلي الشبابيك كويس أوي .. والتاكدي إن كل الأبواب متريسة  
كويس .. واقفلي شفاطات المطبخ والحمام.

لكن المرأة المذهولة بدت وكأنها لم تسمع شيئًا، فصاحت مي  
بصرامة:

- اتحركي يا عفاف .. بسرعة!

لتنفضت عفاف وكان أحدهم مكب دلوًا من الماء البارد على  
وجهها، ثم انطلقت بسرعة لتنفيذ الأوامر بينما ركضت مي بسرعة



إلى غرفتها.

شعرت بشيء يحثها على الركض إلى غرفتها، فركضت مسرعة.

أضاءت الغرفة البسيطة، التي يملأ فراغها مريزٌ بسيط، وخزلة ثياب، ومكتب صغير علقت فوقه لوحة مستوحاة من نقش قديم لصورة إيزيس وهي تبسم، وأسفلها علقت هدية محمد حارس القلادة.

أغلقت الباب، ونهبت إلى النافذة، وأحكمت إغلاقها، ثم راحت تراقب من بين شرائح الستائر كان الإعصار العالي يقترب مكسحًا كل شيء في طريقه، مقتلعًا أشجارًا قصيرة زرعت لتجعل شكل الطريق الواسع.

إلا أنها شعرت أن الإعصار قادم نحو الدار بالذات، نفس ذلك الشعور الذي لا تجد له تفسيرًا. وما هي إلا دقائق معدودة، حتى وصل الإعصار إلى الدار راحت الرياح المحملة بالرمال تضرب الزجاج في عنف، وشعرت كأن البيت يرتج وكان أحدهم يحاول نزعه من مكانه. وكان الرياح لها يد خفية.

وعلى انعكاس الضوء لأحمر الصادر من قلب الإعصار، رآته يخرج من بين الرمال. رجل نحيل، متشح بالسواد من قمة رأسه حتى أطراف أصابع قدمه العارية، له شعر أسود ثلث ووجه مكفهر اختلطت فيه الحمرة بالسفرة. لكنه لم يكن يخرج سائرًا على قدميه. بل كان طافيا في الهواء، وكأنه يطير.

وما أن اقترب من النافذة، حتى تراجعت في خوف، وركضت نحو القلادة، ثم أمسكها واحتضنتها وجسدها النحيل يرتعش.

بينما سمعت صوت الدقات البطيئة على الزجاج.

- إلى أين تظنين نفسك ذاهبة يا فتاة!

سمعت الصوت الصارم الغليظ مبحوح النطق يحدثها كله واقف أمامها في الغرفة.

أغضت عينيها وجسدها الضئيل يرتج خوفاً، ويدها الدقيقتان تقبضان على القلادة التي تحتضنها.

- هل تظنين أن إمت قادرة على حمايتك .. إنها حتى لم تحم أبناءها.

سمعت الكلمات الساخرة الخبيثة الكريهة، فنظرت إلى لوحة إيزيس، ثم قلبت القلادة على ظهرها.

- أبعد عني وميِّبنا في حالنا .. احنا مساكين ما أذيناها حد.

ضحك الصوت الغليظ المبحوح، ثم قال:

- لكل معركة أضرارها يا صغيرتي.

ثم زمجر غاضباً وهو يقول بصوت مهيب:

- سيدي .. هذا خادمك المخلص .. يأتيك بأمرتك المليء قلبها بالخطايا .. فامنحها صك العفو.. أو فلتجعلها فداء لرمالك المقدسة.

وأمام عيني مي المذعورتين، الفجر زجاج النوافذ متناثرًا في قلب  
الدار كل الزجاج في كل الغرف. وتعلت صرخات الفتيات الفزعيات،  
مختلطة بصرخات المشرفات. لكن مي لم تصرخ.

لم تصرخ والرمال تقتحم عليها الغرفة.

لم تصرخ والرمال تضرب وجهها الجميل وتدمي شفتيها وذقنها.

لم تصرخ والريح تقتلعها من مكانها وتلقي بها بعرض الغرفة،  
مصطدمة بعنف بذلك الجدار الذي تعطوه لوحة إيزيس.

لم تصرخ قط.

فقط همست بهدوء وهي تلفظ ألفاسها الأخيرة:

- مع السلامة يا أبيه .. مع السلامة.

ثم أغضت عينيها

وانتهى كل شيء.

\*\*\*\*\*

المشهد العاشر

نهار - داخلي

وزارة الداخلية - القاهرة الجديدة

صباح الحادي عشر من يوليو عام ألفين وثلاثين.

ضرب توفيق إسماعيل سطح مكتبه في غضب، وهو يواجه أحد ضباطه الكبار:

- يعني ايه مش لاقين أثر يعني ايه بني آدم يختفي وما تعرفوش توصلوله في بلد كل مكانها بقوا على قاعدة البيانات ويا ربتة كان بني آدم عادي ده مشتبته فيه سابق في جرايم قتل هزت الرأي العام ..

ارتعشت ساقي الضابط الواقف كتلميذ يتعرض للتوبيخ وقال:

- يا فندم احنا كنا مراقبينه زي ما حضرتك كلفتنا على مدار الـ ٢٤ ساعة .. بس امبارح بعد موجة الأعاصير التالية الجو كان غرقان في الأثرية من بدر لحد مصر الجديدة ولما انقشعت الأثرية الصبح ما لقيناهاش عربيته واقفة قدام البيت ولما طلعا البيت وخططنا. فتحتلنا حملاته وقالت انه مش موجود ومسافر ومش عارفة مسافر فين.

تذكر انك حملت رواية حارم الليلة الأخيرة حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب في خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك. نظر توفيق إلى الضابط بعين نصف مفتوحة، وحاجباه القصيران منعقدان على شكل الرقم سبعة، ثم قال:

- تقبلوا عليه البلد كلها .. أنا عايز خبره حيا أو ميتا في خلال أربعة

وعشرين ساعة.

- طيب يا فندم وبالنسبة لمستر مايكل سميت؟

- لا لا .. مايكل سميت ده سييهولي.

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة متوحشة شرمة:

- الخواجة سميت ده بتاعي .. وأنا اللي هجيبه بنفسى.

ثم تناول علبة سجائره وقال وهو يزفر في ملل:

- اتفضل يا باشا .. وما تجيليش غير ومعاك خبر محمد حارس.

أدى الضابط تحية مرتجلة متعجلة، ثم خرج من المكتب.

وقبل أن يغلق الباب، دلف مدير مكتب الوزير إلى الحجرة، وتنحى

مثيرا انتباه توفيق:

- من غير نحضة يا كمال وحياة أبوك.. خيرا

- خير يا فندم إن هاء الله ..

ثم تنحى من جديد قلأ:

- المقدم سيف عبد الفتاح عايز يقابل حضرتك.

- قصدك المقدم السابق.

وما أن أتم عبارته، حتى سمع الضحكة المكتومة العبثة، وصوت

سيف يدوي في الحجرة:

- آيه يا معالي الوزير .. دي طريقة تقابل بيها دفعك برضه؟

- أطلع أنت يا إبراهيم .. واقفل الباب.. وخليهم يعملولنا القهوة ..  
قهوتك آيه يا سيف باها؟

- زيادة يا إبراهيم .. زيادة.

أوما إبراهيم برامه، ثم خرج من الغرفة وأغلق الباب.

- الأفضل ارتاح يا سيف باها.

جلس سيف على المقعد الجلدي العريح، ثم نظر إلى توفيق نظرة  
ثابتة خاوية:

- خير يا سيف .. أي رياح طيبة.

- هو الحقيقة ما بقاش في رياح طيبة نهالي اليومين دول يا معالي  
الوزير

- قصداك شوية الزوايح اللي منتشرة في البلد .. أنت عارف التغيرات  
الجوية .. هو الصيف بقى صيف ولا الشتاء بقى شتا.

ضحك سيف ضحكة مكتومة ساخرة ثم قال:

- توفيق يا إسماعيل .. أنت عارف كويس أوي إن دي لا زوايح ولا  
تغيرات مناخية .. وإنها حاجة فوق مستوى إدراكك وإدراكي.

- ده كلام جرايد ومواقع .. مش كلام مستند على حقائق.

- وأنت تحب الحقائق صح؟

ثم نهض من فوق المقعد وامتمد إلى المكتب مقرنا وجهه من  
وجه توفيق هامشاً:

- توفيق .. أنا دلوقتي مش ضابط متقاعد بيكلم وزير الداخلية ..  
أنا سيف عبد الرحمن دفعك .. بيكلم توفيق إسماعيل الضابط اللي  
أقسم إنه يحافظ على حياة الناس.. وخصوصاً ضباطه وعساكره ..  
وعشان كده بقولك يا توفيق ..

ثم ضم قبضته ووضعها فوق المكتب قائلاً:

- اعزل منطقة معبد بتاح .. وابعد قوات مكافحة الإرهاب .. الخطر  
اللي هناك يا توفيق أكبر مني ومنك .. ومحتاج تعامل احنا مش  
قده.. اسمع كلامي أنا في عرضك .. وسيب الخطر اللي يقدر على  
ردعه يا توفيق..

- ايه اللي أنت بتقوله ده يا سيف .. دي منطقة كوارث .. وخطة  
الطوارئ العامة بتقول إن لازم...

صوب سيف نظراته نحو عيني توفيق:

- الكلام ده مش هينقذ حياة الناس يا توفيق ومعبد بتاح ده اللي  
بدأ من عنده الخطر كله وهينتهي عنده الخطر كله. أرجوك يا  
توفيق. اسمع كلامي لآخر مرة أرجوك ..

نظر له توفيق نظرة متفحصة، وتجمد المشهد لدقائق، بينما ساعة  
الحائط تدق دقائقها الثابتة شاقة فراغ الصمت، ودخان سيجارة  
توفيق المعلق في الهواء يصنع أشباحاً رمادية حولهما، ثم مد توفيق

يده، وأمسك بسماعة الهاتف، وضغط زرًا، ثم انتظر حتى جاءه الرد:

- اطلبلي مدير أمن الجيزة وقائد عمليات خطة الطوارئ .. وبلغهم  
أمري بالانسحاب من محيط ميت رهينة ..

ثم وضع السماعة، ونظر من جديد إلى سيف قلائد:

- أنا هسمع كلامك بس عشان أنا عارف أنت مين .. وحتى لو في  
يوم من الأيام ملعت نفسك للأوهام والخيالات .. لكن هتفضل  
أذكى بني آدم عرفته في حياتي

- أشكرك يا معالي الوزير .. أشكرك ..

ثم دار بجسده الممتلئ، واتجه ناحية الباب، لكن توفيق استوقفه  
قلائد:

- سيف ..

التفت سيف ناحيته نصف التفاتة، فقال:

- فين محمد حارس يا سيف؟

صمت سيف للحظة، ثم قال وهو يعاود المشي باتجاه الباب:

- في قلب الخطر يا معالي الوزير .. في قلب الخطر ..

\*\*\*\*\*



## المشهد الحادي عشر

ليل - داخلي

حوت كابتاح (منزل روح بتاح) - الجيزة

مساء الحادي عشر من يونيو عام ألفين وثلاثين

أتقدم من محيط بيت المبارك بتاح.

التحف بعجاءة بيضاء اعتدت أن ألبسها عند حضوري إلى قبر  
المبارك.

أمشي وأنا أحمل عصا خشبية متشققة، فقد فقدت عصاي الأثيرة  
يوم أن كنت هنا.

عندما دمر البرابرة منزل روح المبارك بتاح

أنا أنبو، أنوب، أنوبيس، هيرموبوليس.

هكذا سموني في كل اللغات.

أنا الحارس، الذي أوصلي أبي المبارك أوزير أن أحمي هذه الأرض،  
وهذه البقعة بالذات.

أنا من كنت يومًا قارئًا للموتى في بلاط بطليموس، وطبيبًا في  
بلاط قيصر وشرطيًا في عسس المعصم، ومحققًا خاصًا في لندن،  
وكبير محققين في الشرطة السلطانية، وضابطًا في الأمن الوطني.

اقترب من ذلك العود الهوائي العملاق.

الضوء الأحمر القلبي ينعكس على وجهي المختبئ في غطاء رأس  
العباءة، وقدماي الحافيتان تدوس فوق الأرض المباركة  
الأرض التي أقسم فيها بتاح وأوزير عهدًا أمام رسول الرب.  
أقسما ألا يظلم، وألا يقتل بلا حق، وألا يستأثرا بسلطة أو مال، ألا  
في خدمة هذه الأرض.

وما أن اقتربت أكثر من العاصفة، حتى راحت الأثرية تدغدغ  
وجهي

الأثرية التي صنعها ست.

لكن من قال أنها سوف تؤذي.

أنا ربيب بنات آوى، أنا الذي ألقى في كهف في الصحراء لتلقفه  
الهوام وترضعه وتربيته نيابة عن أمه العالقة اللاهية.

فلن تؤذي بضع ذرات من فراشي الذي نمت عليه وأنا رضيع.

- أخرج لي هنا أيها الملعون .. وكف عن ذلك .. فلم يعد هناك فائدة.

ثم رحت أصيح والرمال تضرب وجهي بعنف:

- أخرج وواجهني كالرجال.

يتردد صوتي في قلب العاصفة، يتردد كأنما نحن في بئر بلا قعر.

- ابن أخي العزيز .. لقد انتظرتك طويلا.

الصوت الغليظ مبحوح الأحرف، والنبرة الساخرة الكريهة:

- اخرج إلي هنا يا عماه .. اخرج حتى ننهي هذا الأمر كالرجال.

انزاح الغطاء عن رأسي، ليظهر وجهي الأسمر حاد القسمات،  
وعيني اللتان تنوهجان ببريقيهما الأزرق الساطع.  
بريق الغضب.

- ألم أقل لك من قبل يا صغيري .. لن أبارزك بالسيف والعصا!  
ثم تحول صوته إلى نبرة صارمة غاضبة:

- أعطني مر الماء المقدم وسأتركك تحيا حتى يفتك المرض بك  
وتموت وتتغن أو أحجب السر عني وسوف أقتل كل يوم رهقا  
من اتباعك ومريديك حتى تبقى وحيدا ذليلا.

ثم صاح غاضبا حتى رجت صيحته جنبات العاصفة الترابية،  
وآزداد الضوء الأحمر تالفا ووهجا:

- وساعتها ستأتي إلي راكفا .. تتمنى أن أنهى حياتك بيدي .. ولن  
أرحمك يا ابن أوزير.

توقفت مكاني، وآزداد بريق عيني الأزرق توهجا وغضبا، ثم أطلقت  
ضحكتي الساخرة العالية:

- أنت ياليس يا مت ياليس تبحت عن الحياة بلا توقف تريد  
الخلود في عالم لم يعد فيه الخلود اختيارا، وتريد أن تعحو الأثر  
حتى لا يبحث عنك الباحثون وتبقى في الظلال حتى تحقق وهمك

القديم.

ارتجت الأرض من تحت قدمي، ولزاحت طاقة من التراب  
العاصف، ليظهر وسطها ظل أسود قائم، يخرج من بين الضوء  
الأحم، سابحاً في الهواء فوق رأسي على ارتفاع مسلة رعمسيس.  
مت القادم من الغرب.

- أنا الأحق بالملك من أبيك ومن أخيك الأعور .. أنا الأقوى يا أبو.  
- أنت تظن أنك الأقوى يا مت .. لكنك ضعيف هش .. غبي لا  
تملك في رأسك إلا عقل دجاجة .. خدعك حور من قبل .. ومسحك  
أمام عشيرتنا .. وخدعك تحوتي وحرملك من ماء الخلود ..  
وخدعك إمت وجعلت منك أضحوكة أمام الجميع.

زمجر غاضباً، ثم رفع يديه في الهواء، لترتفع الأتربة من الأرض  
أسفل قدمي، فتغوصان داخل الأرض، ثم ينزل يديه بعنف، فتنهال  
أطنان من التراب فوق قدمي.

- والآن يا أبو .. لقد اكتفيت من العبث بك .. عبثت بك طوال  
خمسـة آلاف عام .. زرعت لك شراً في كل ركن .. وأوقعت بك مرات  
ومرات.. لكنك تفلت منها كما يفلت التراب من قبضة طفل عابث.  
ثم زمجر في غضب، وهو يهبط بجسده النحيل وشعره النازر  
صارخاً:

- لكن التراب اليوم ملك يدي يا أبو.. ولسوف أهيله عليك بنفسـي

.. كما أهله على البئر

- أنت أجبن من أن تدمر البئر وترجمها.. فبدونها سوف تفنى  
وتتعفن كالجيفة.

- أنت لا تفهم يا أبو.

ثم اقترب مني بسرعة الرياح التي أثارها، وأمسك رقبتى هامسًا  
بأنفاسه الكريهة:

- البئر قد رجمها أحفاد الفالين .. أهالوا عليها الصخور والتراب ..  
واختلط ماؤها بماء آمن قذر .. ولم تعد صالحة .. لم تعد بنزا  
مقدمة .. لقد دنسها الفالون كما دنسوا كل شيء.

ثم جز على أسنانه المصفرة العذبة وقال:

- لذا استعطني السر .. أو سوف أقتلك وأستخرجه منك بطريقتي.

وضحك ضحكته الكريهة، وأنفاسه العفنة تصدم بوجهي مثل  
أثرته التي بدأت تدمي رقبتى وجبهتي.

- فلست وحدك من يقدر على قراءة الموتى يا ابن أوزير

لكني رحت أضحك.

أضحك.

أضحك

وراحت الأرض ترتج من صوت ضحكتي المنتصرة الساخرة

العالية.

ومت ينظر الي مندهشاً ماهما والصدمة لا تفارق وجهه الكريه.  
- أنت لا تفهم يا عماه .. لا تفهم.

ثم أمسكت بتلابيبه، وقررت وجهه من وجهي صارخاً:

- لا سر هناك .. لا سر .. هذا ما ابتدئته ماعت .. ونشرته ووقرته  
في قلوب العامة والطامعين .. حتى تجلبهم بأقدامهم إلى بيت  
تحتوي .. فتطبق فيهم شرع الرب ومشيتته .. لكن تحتوي أضعف  
من أن يصنع ماء البئر يا مت .. كلنا مجتمعون لا نقوى على صنع  
قطرة واحدة صنعها رب السماوات والأرض.

- أنت تكذب .. تكذب كما كذب أبوك وأخوك وأماك يا ابن الحداة  
السطام.

رحت أضحك من جديد.

أضحك.

بينما أخرج مت خنجره الملتوي، وكشر عن أنيابه وهو يضحك  
ضحكه الصفراء المقيتة قللاً:

- إذن .. فالت لم تعرك لي خيلاً يا ابن أخي.

ثم رفع الخنجر في الهواء وهو يقول في شراسة:

- سيدي .. هذا خادمك المخلص مت .. يأتيك بصدق أبنو .. بقلبه

العملى بالخطايا .. فامنحه صك العبور إلى رحماك أو فلتجعله  
فداء لأرضك المقدسة.

لم أقاومه.

لم أرد أن أقاومه.

بل أردتها أن تأتي بسرعة.

ميتة سريعة نظيفة بلا آلام.

ميتة تنهي على العرض الذي بدأ يسري في خلايا جسمي ويكاد  
يجعطني أتمنى الموت يلا تأخير

ثم غرَس الخنجر في صدري، وصرخ صرخة تشبه عويل آلاف  
الذئاب في قلب الصحاري المقفرة، وضحك ضحكة كضحكات قطع  
من الضباع الجائعة، ورفع جسدي عاليا، وراح يرتفع بي عاليا،  
ويغرس خنجره أكثر داخل قلبي، ويسيل دمائي القرمزية لتختلط  
بالرمال والتراب.

روحي تنساب من جسدي، وقواي تخور وتضعف، وأطرافي يسري  
فيها الخدر.

وأغمض عيني وسط العاصفة، مسلقا بمصيري.

لكني أجد نفسي في تلك البئر

أجد نفسي داخلها.

كما كنت أحلم كل يوم.

البئر العميقة قد جفت، وهناك في قلب البئر أقف فوق الركام.

وينتشر صوت مت في اندي كفحيح ألف حية:

- بعد أن أمحو الأثر .. أمحوه بلا عودة .. لن يبقى سواي يا أبو ..  
وماستخرج منك السر

يدان قويتان تمسكان بجسدي فتمنعه من السقوط.

لكن نعمة موداء تقف على مرمى بصري الآن، تصرخ بصوت رفيع:

- قاوم يا حارس بئر بتاح .. قاوم يا ابن كيمت يا حارس ميزان  
العدالة .. ولا تستسلم.

فيجيبها الصوت المبحوح الخارج من فم مت الكريه:

- لا فائدة من المقاومة يا حاملة الميزان .. فلتذهب عدالتك إلى  
أعماق الجحيم.

وطائر أبي منجل ذو الجسد البشري المشدود القوي، لا يتوقف عن  
النقر في قلبي، وينظر لي في مكنون، ثم يتردد الصوت من عقله  
إلى عقلي:

- قاوم أيها الابن الملكي وافعل ما عليك فعله

لكني لا أقوى على المقاومة يا تحوتي

لا أقوى على التملص من القبضتين اللتين تمسكا بكففي



ثم أسمع قرقرة الحدأة فوق البئر

قرقرة أقرب إلى الصراخ والعويل .

- استيقظ وانهض يا ابن أوزير .. افعل ما عليك فعله.

بينما الصوت الثعالي يبت السمع في عقلي:

- لا فائدة من المقاومة أيها العلكي .. لا فائدة من كل ما فعلته ..

سأستخرج السر من أحشائك التي فتك بها العرض .. ومن قلبك  
الذي صار بين يدي.

وصوت الحدأة البيضاء يدوي في رأسي:

- افعل ما عليك فعله.

وتحتوي ينقر بمنقاره في قلبي:

- استيقظ أيها المبارك .. فما زال أمامك الكثير.

وفي الأفق المظلم داخل البئر اللاتهائية، أرى وجه سيف يبتسم:

- اصحى يا حارص .. قوم يا حارص.

وتحتوي يدون شيئاً في دفتر كبير يمتد إلى ما لا نهاية.

ثم صوت سيدي أوزير يأتي من لا مكان.

ومن كل مكان.

- انهض يا فتى .. انهض وافعل ما عليك فعله .. انهض يا حارص

العهد.

ومساعتها، فتحت عيني وتوقف كل شيء حولي، وأمام عيني مت  
الرماديتين، تمتد يدي لتسحب ذلك الخضر من قلبي.

تسحبه كلما لم يكن هناك.

- يستحيل أن يحدث هذا .. أن ...

لكني لم أدعه يكمل جملة، وأمام عيني اللتين غزاها الرعب،  
وأمام وجهي الصارم المصن والضوء الأخضر المنبعث من حول  
جسدي، والوهج الأزرق المشتعل في رأسي، رحت أريد في صرامة:

- سيدي .. هذا خادمك المخلص أبو .. يأتيك بعبدك الملعون مت  
.. بقلبه الممتلئ بالخطايا .. فامنحه صك العبور إلى رحماك.. أو  
فلتجعله فداء لأرضك المقدسة.

ثم غرست الخضر في قلبه. وتهاوى جسدينا وسط العاصفة  
المتوهجة. وما أن اصطدنا بالأرض الطينية. حتى توقفت  
العواصف، وانطفأ الوهج الأحمر في جسده، وأمام عيني  
الشخصيتين الخاليتين من أي حياة همست قلأ:

- بقوة الرب الجبار .. اضرب أعداءك فلا تترك منهم أحدا.

ثم أغمضت عيني، وهدأت أنفاسي..

وانتهى كل شيء.. انتهى إلى الأبد..

## المشهد الثاني عشر

نهار - داخلي

مستشفى أكاديمية الشرطة - القاهرة الجديدة

صباح الخامس عشر من يوليو عام ألفين وثلاثين

وقف سيف يدخن سيجارة محلية طويلة الأنفاس، في قلب ممر المستشفى الخاوي، في تلك الساعة المبكرة من صباح ذلك اليوم، غير عابى بنظرات الجميع من حوله، بينما خرجت إيرين من الغرفة رقم ٣٢٠، التي أرقد فيها بلا حراك، وعلى وجهها علامات الحزن والامسى .

- خيرا إيرين طمئيني!

- فاق .. بس لسه مش عارف هو فين ولا عارف ينطق بكلمة ..  
والجرح اللي جنب قلبه نزف دم كثير وتمر الأنسجة كلها .. بس  
الدكترة بيقلولوا إنه هيعيش.

زفر سيف دخان السيجارة، وكأنه يخرج مع أنفاسها توتره الذي  
عاش عارفاً فيه خمسة أيام كاملة، منذ أن عدت من تلك المعركة  
في قلب العاصفة.

منذ أن أنهيت حياة مت، وصرت الأخير

بلا بئر مقدمة، ولا ماء يمنحني دورة أخرى من الحياة.

وللمرة الأولى، شعرت وأنا أفيق من غيبوبتي أني سعيد.  
مستنتهي هذه الحياة بعد أعوام قليلة.

مستنتهي وتأخذ معها آلامي وأمراضي، وسأرحل بلا رجعة.  
وبينما كان سيف يلقي بالسيجارة على الأرض الرخامية اللامعة،  
ويرفع رأسه من جديد، وجد أمامه شخصين ينتظران، كاتب  
النيابة العجوز ينظر له في امتنان، ومعه رجل عجوز يرتدي جلباباً  
قديماً، تقرحت أطرافه وفوقه عباءة معزقة وعدة مسابح معلقة  
على رقبتة.

- مين ده .. ودخل هنا أزاى ..

صاحت إيرين مثيرة جلبه عالية، لكن سيف أشار لها بيده، ثم قال  
في هدوء:

- أنا هتولى الموضوع ده .. سيبينا لوحدنا يا إيرين.

- بس يا سيف باشا ...

- سيبينا لوحدنا يا إيرين إذا مسحت

نظرت إيرين له وراحت تحول نظرها بين سيف وبين الشخصين،  
ثم استدارت على عقبيها، ومشت مبتعدة وكعب حذائها يدق الأرض  
الرخامية في انتظام.

بينما التفت سيف إلى الرجلين وقال وعلى وجهه ابتسامة خافتة:

- ازبك يا كاتب .. بقالنا زمان ما التقابلناهن؟

- ازبك يا سيف .. انا فرحت أوي لما هوفتك قاعد قدام إبراهيم أبو النور؟

- وأنا ما كنتش فاكرك .. بس لما دقت في وهك افكرتك ..  
صحيح أنت عجزت شوية .. بس أنا مش هتوه عنك .. برغم إن  
حارس قال إن هو الأخير

لم يعقب، وابتسم ابتسامته الواسعة الحنون من جديد، ثم أشار إلى  
الرجل الواقف بجواره:

- أعرفك .. ده أخونا المسافر .. وجاي يطمئن على حارس.

نظرت إلى الرجل الذي يتشبه بالدراويش والمجانيب، ثم نظرت  
من جديد إلى الكاتب، فهز رأسه مؤمناً:

- يبقى التفضلوا .. أنتم عارفين الطريق.

ثم اتجه ناحية باب الغرفة، وفتحها، ليندلف منه الكاتب والمسافر  
ثم أغلقه خلفهم في إحكام، وفي داخل الغرفة، وعلى الضوء  
الخافت الصادر من مصباح صغير فوق رأسي، رأيتهما يتقدمان  
مني.

يتقدمان إلى يميني بعيداً عن قلبي الذي احتك به الخنجر لكنه لم  
يدمره كلياً.

- ازبك يا حارس؟

أفتح عيني على اتساعهما، وانظر في وجه الكاتب، الذي راح ينظر لي في حان جارف، ووجهه العجوز الطيب يحتل مرمى بصري بالكامل.

أحاول أن أجيبه، لكن صوتي الخافت لا يصل إلى أذنه:

- ما تعبهش نفسك .. احنا سامعينك.

كنت أهمس له بأني لا أعرفه، لكن شيئًا في عينيه كان يقول لي أنني أعرفه جيدًا.

بينما اقترب الرجل الذي يرتدي الأسعال والمساح مني، وهمس قلًا:

- وحشتنا يا أخي .. وحشتنا.

نظرت له في عدم فهم، فابتسم ابتسامة واسعة، ثم قال:

- أنت فاكركم من عارفتي .. بس أنت عارفتني كويس.

ثم أخرج من بين أسعاليه محفظة صغيرة، امتلأ بسائل شبه شفاف، ومال على أذني من جديد هامسًا:

- لا تقلق يا ابن أخي .. ما جئناك في سر.

هذا الصوت، هذا الصوت الذي يأتي من بدر عميقة بلا قران.

صوت المسافر حامي المسافرين، الرجل الذي كان يقطن جبال أرض القمر.

## حارس أرض القمر

همست بوهن ليخرج صوتي من بين شفتي فلا أكاد أسمع:

- خونسو.

فابتسم ابتسامة واسعة، وسطع بريق أغشى بصري من وجهه، ثم  
التفت ناحية الكتب العجوز، فغرس المحقن في خرطوم المحلول  
الموصل إلى أوردتي، وضح السائل فيه.

وبينما يسري ماء الحياة في جسدي، وأنا أشهق كمن أنقذوه من  
الغرق، مال الكتب على أنفي وهمس قللاً:

- انهض يا أبو .. انهض وافعل ما عليك فعله ..

- تحوتي.

همست بها فرخاً مندهشاً، مصعوقاً من هول ما أراه أمامي.

- لكنك كنت هناك عند البئر تواجه البرابرة و..

- لا تصدق كل ما تراه عينيك يا أبو.. لا تصدق.

ثم نظر في عيني وقال بصوته الرخيم:

- واعلم يا أبو لك لست الأخير .. لكنك ستكون الأخير

ثم رفع رأسه ناظراً إلى السقف، واغمض عينيه، وتوهج ذلك البريق  
الرمادي من جسده.

وساعتها عرفت أن عمري ما زال فيه الكثير.  
ربما مائة عام أخرى.

ربما أقل.

لكني الآن عرفت أن تحوتي كان يعرف السر.  
وأنني سأظل حيا كي أكون كما كنت دائما.  
لأنني يجب أن أفعل ما علي فعله.

فلما حارس.

الأخير

تمت

نهاية الموسم الأول